أنين الأرواح

مجموعة قصصية

تأليف

د. سامح أحمد فاروق

obeikandl.com

طبعة ٢٠١٧

فاروق، سامح أحمد

أنين الأرواح: مجموعة قصصية/ سامح أحمد فاروق – .- الجيزة: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

١٧٢ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٤ ٤٤٦ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة

أ - العنوان

٨١٣,٠١

obeikandi.com

أنين الأرواح

مجموعة قصصية

تأليف

د. سامح أحمد فاروق

obeikandl.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/١١٢٧٦

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٢٩٩-٤٤٦-٤

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : أنين الأرواح

المؤلف : د. سامح أحمد فاروق

الغلاف : ريم السخاوى

الناشر: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٠٣٣٤٦٥٨٥ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكـــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikandl.com

إهداء

... أهدي هذا العمل لكل من أثروا في حياتي... وكل من تركوا في نفسي بصمة إيجابية... أهديها لوالدي ووالدتي... أهديها لزوجتي وبناتي... لإخوتي وكل عائلتي... لأصدقائي وزملائي...

وبلدي الحبيب... مصر...

●●●

تم كتابة هذه المجموعة ما بين عامي ٢٠١١ و٢٠١٥، وكنت قد لاحظت عزوف بعض القراء من الشباب وانصرافهم عن قراءة الروايات باللغة العربية وتفضيل قراءة الروايات باللغة الإنجليزية، مما جعلني أشعر بالغيرة بل بالخوف لابتعادهم عن ثقافاتهم ولغتهم الأم، كان هذا دافعًا لي لمحاولة تقديم روايات تكون بديلاً جاذبًا لهم باللغة العربية.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

ما بين الواقع والخيال لحظات نعيشها.. تختطفنا لنتوه فيها.. وقد تمتزج مشاعرنا... فنكذب الواقع.. ونصدق الخيال... ثم نفيق.. فنكتشف أنه لا فارق بين الحالتين.. فإن الروح تعيش الحالتين بصورة متماثلة.. بل ويستجيب لها الجسد بالتفاعل.. فتجد القلب يخفق مع الحلم.. مثلما يخفق مع الواقع.. وتظل المشاعر حائرة.. ما بين الوهم والحقيقة...

سامح فاروق

obeikandl.com

obeikandl.com

الرحلة... الأخيرة

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الأولى

... كان هذا هو الأسبوع الثالث لي في هذا القسم... الكثيرون لا يحبون العمل به... والبعض يعتبرونه نوعًا من العقاب أو النفي... إنه قسم أمراض الشيخوخة أو ما يسمونه (Geriat-ric Medicine)جيرياتريك ميديسين... ولكنني لم أكن أشاركهم هذا الرأي بالعكس فقد كنت أشعر بالتعاطف الشديد مع هؤلاء المرضى كنت أتعايش معهم وأشعر بهم... لأنني أدرك أنني في يوم من الأيام.. إن طال بي الأجل.. قد أكون بينهم ومنهم ... ويبدو أنهم أيضًا كانوا يبادلونني نفس المشاعر والأحاسيس فكان بعضهم يجلس معي ويتحدث لمدة طويلة في أشياء ربما لا تعنيني كثيرًا... ولكنني كنت أستمع لهم وأنا أبتسم حتى يكملون حديثهم... كنت مقتنعًا أنهم لا يحتاجون علاجًا دوائيًا فقط.. بل يحتاجون أيضًا من يستمع إليهم ويتجاوب معهم...

... كان القسم بالطبع يتولى علاج المرضى كبار السن.. وكانت معظم الأمراض أمراضًا مزمنة... سكر.. ضغط.. كولسترول... أمراض قلب... أمراض أعصاب... هشاشة عظام... الزهايمر... إنها الأمراض التقليدية التي تصيب هذه الفئة المتقدمة من العمر...

... موعد العيادة يبدأ في التاسعة صباحًا وحتى الواحدة ظهرًا... ورغم أنها فترة تعتبر نسبيًا قصيرة إلا أنني كنت أرى عددًا كبيرًا من المرضى يتجاوز ٢٠ حالة يوميًا لأن معظمها حالات متابعة وتكرار علاجي بالأدوية للأمراض المزمنة...

... ذهبت صباحًا كالمعتاد فوجدت الممرضة تضع أمامي ملفات المرضى المطلوب مناظرتهم اليوم... وبدأت الكشف حالة بعد حالة... وكالعادة أنهيت الحالات في الموعد المحدد، وقبل أن أتأهب للانصراف وجدت الممرضة تضع أمامي ملفًا آخر، وهي تقول: هناك مريض آخر في الانتظار يا دكتور...

أمسكت الملف بيدي... الاسم/ سامر عبد العزيز... ولكن قبل أن أفتح الملف لفت نظري خانة العمر... ٤٢ سنة... يبدو أن هناك خطأ ما... فمعظم مرضاي قد تجاوزوا السبعين من العمر...

... استدعيت الممرضة وطلبت منها الذهاب بالملف لموظف الاستقبال حتى يتدارك هذا الخطأ... ولكن بعد قليل حضر إليَّ موظف الاستقبال وأكد لي أن البيانات سليمة... قلت له وكيف قبلت الحالة في قسم أمراض الشيخوخة... فقال لي أن الحالة محولة من قسم الأعصاب باسمي أنا شخصيًا للكشف عليها وإجراء اللازم...

... انتبهت.. وبدأت أتساءل لماذا تم تحويل هذه الحالة إليَّ... لا بأس... طلبت من الممرضة أن تسمح للحالة بالدخول للكشف...

... دخل المريض... ولكن ومن أول نظرة اندهشت... فهذا المريض لا يمكن أن يكون عمره ٤٢ سنة... شعره شديد البياض... جلده شديد التجاعيد وأسنانه ساقطة... وهي أشياء لا تتناسب نهائيًا مع عمره الحقيقي المذكور، بل يبدو أنه لا يقل عن ٧٠ سنة...

... جلس أمامي وبدأت أسأله عن حالته... وكانت شكواه عدم القدرة على التحكم في الأشياء مع الرعشة والارتجاف المستمر... كانت مبدئيًا حالة من حالات الشلل الرعاش التي تصيب المرضى كبار السن...

... وبدأت أفكر وأنا أحاول أن أجد تفسيرًا لهذه الحالة... ربما تكون حالة الإصابة بالشيخوخة المبكرة أو ما يسمى البروجيريا (Progeria)... ويبدو أنه لاحظ نظراتي إليه...

فقال: نعم، لقد احتار الكثير من الأطباء في حالتي ويقولون أن مظهري وعمري الافتراضي يتجاوز عمري الفعلي بمراحل...

... سألته: هل يمكن أن تشرح لي بالتفصيل كيف بدأت هذه الحالة؟؟

قال لي: كنت أعيش حياة طبيعية تمامًا حتى تجاوزت سن الأربعين... ولكن ومنذ حوالي سنتين وبالتحديد بعد عودتي من رحلة عمل بأمريكا بدأت هذه الحالة بالتدريج وبدأت تظهر عليَّ علامات الكبر والشيخوخة بصورة متسارعة...

سألته: وهل هناك تاريخ وراثي أو عائلي للحالة؟؟

قال: لا...

١. وهل كنت تعاني من أي أمراض مزمنة أخرى قبل إصابتك بهذه الحالة؟؟

... وكانت الإجابة أيضًا... بالنفي...

.. المهم أنني طلبت منه إجراء أشعة مقطعية وبعض التحاليل... وطلبت منه العودة للمتابعة بعد ثلاثة أيام...

... بعد انصراف المريض... أخذت أراجع الأعراض... وبحاستي الطبية السادسة، شعرت أن هناك شيئًا غريبًا ومريبًا وراء هذه الحالة!!!... وعدت مرة أخرى أفكر في احتمال مرض الشيخوخة المبكرة البروجيريا... ولكن الحالة تبدو مختلفة... فحالة البروجيريا تكون ناشئة عن اختلال جيني وتبدأ في حالة مبكرة من العمر قد تكون من الشهور الأولى... وتتسارع حالة

oberkandl.com

الشيخوخة بسرعة حتى يتوفى المريض بأمراض الشيخوخة مثل الجلطة القلبية أو السكتة الدماغية قبل تجاوز سن العشرين (١٣ عامًا في المتوسط)... ونادرًا جدًا ما يستمر حتى الأربعين...

... هل هناك سبب آخر؟.....

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الثانية

... بعد ثلاثة أيام حضر سامر لمراجعة نتائج الأبحاث... ولفت نظري بشدة ما وجدته في نتيجة الأشعة المقطعية على المخ، حيث وصف التقرير حالة ضمور بخلايا المخ وهي أعراض لا نراها إلا في حالات الشيخوخة والسن المتقدمة...!!!

... كانت الخطوة التالية هي انتظار التحاليل الجينية الخاصة بمرض الشيخوخة المبكرة... وبعد عدة أيام حضرت النتيجة والتي كانت سلبية مما يجعل تشخيص الحالة بالبروجيريا يبدو مستبعداً ... والأغرب هو تقرير فحص الخلايا بالميكروسكوب الإلكتروني... وهو بحث جديد أدرس من خلاله التغيرات البيولوجية التي تطرأ على مكونات الخلايا المصاحبة للشيخوخة... حيث أخبرني الزميل الذي أجراها بوجود ما يشبه النواة في خلايا الدم الحمراء وهي ظاهرة غريبة على خلايا الدم في الإنسان...

... قررت مناقشة الحالة في الاجتماع العلمي للقسم... وهذا ما فعلت.. وعندها تحير الجميع.. واتفقوا معي أن الحالة غريبة وقد تكون نادرة... واقترح د. عبد الحميد شاكر.. رئيس القسم.. ضرورة عرض الحالة في المؤتمر السنوي لأمراض الشيخوخة والذي كان مقرراً انعقاده بعد حوالي شهر ونصف...

... بدأت أستعد للمؤتمر وأعد كل التفاصيل الخاصة بالحالة وعرض نتائج كل الفحوص والأشعات التي أجريتها... ومقارنتها بحالات الشيخوخة المبكرة والتي تعتبر من الأصل حالات قليلة ونادرة لا تتجاوز حالة من كل ٤-٨ ملايين مولود...

وفي اليوم المحدد للمؤتمر كنت أعرض الحالة على أطباء من مختلف الأقطار والمراكز الطبية... وما إن انتهيت من عرض الحالة والمحاضرة الطبية حتى فوجئت بعدد من الأطباء يخبرونني بأنهم قد قابلوا حالات مماثلة لهذه الحالة... كان هذا شيئًا غريبًا وغير متوقع... فطلبت من الزملاء معاودة الاتصال بهذه الحالات وإرسالها للعيادة لأخذ العينات الطبية والجينية... كنت أشعر أن هناك شيئًا ما.. يربط بين هذه الحالات...

... وفي خلال الأسبوع اللاحق جاءني بالفعل أربع حالات من الحالات المصابة بنفس المرض.. والشيء المثير أن حالتين من هؤلاء كانت لزوجين في أواخر العشرينات من العمر... وبالرغم من هذا عندما دخلا عليَّ مكتبي بالعيادة ذهلت لأن من يراهما لا يمكن أن يتوقع أن عمرهما في أواخر العشرينات... وبواقع ما رأيت يقدر عمرهما على الأقل بالخمسين أو الستين... سألتهما: كيف بدأ معهما المرض؟ فذكرا لي أن الحالة قد بدأت منذ حوالي سنتين...

وبالتحديد بعد عودتهما من رحلة شهر العسل بأمريكا...!!!
الحالتين الآخيرتين بدأت عندهما الأعراض منذ نفس التاريخ...
أحدهما بعد عودته من زيارة قريب له في أمريكا والأخرى كان عائدًا من رحلة دراسية لأمريكا أيضًا... أخذت بعض العينات للتحاليل وإجراء الفحص الجيني لهم جميعًا...

... وبعد انصرافهم وضعت جميع الملفات أمامي وأخذت أفكر.....

... سامر بدأت عنده الحالة بعد العودة من رحلة عمل بأمريكا...

... تامر وهايدي بدأت عندهم الحالة بعد عودتهم من شهر العسل في أمريكا...

... مجدي بدأت عنده الحالة بعد عودته من زيارة أحد أقاربه بأمريكا...

شادي بدأت عنده الحالة بعد عودته من البعثة الدراسية من أمريكا...

هل يمكن أن يكون كل هذا بالصدفة...؟ على الأرجح هناك علاقة مشتركة بين هذه الحالات... فالأعراض المرضية

obeikandl.com

قد بدأت عندهم جميعًا في نفس التوقيت تقريبًا... وأيضًا كانوا جميعًا عائدين من أمريكا... لا يمكن إغفال هذه المعلومات.. ولكن كيف يمكن إثباتها؟!... والأصعب كيف يمكن تفسيرها؟!... هل تعرضوا جميعًا لمؤثر ما أدى إلى إصابتهم جميعًا بهذا المرض الغريب؟؟...!!!...

●●●

obeikandl.com

الحلقة الثالثة

... خطرت على بالي فكرة... وقررت إجراء محاولة... اتصلت بالمرضى الذين يعانون من هذه الحالة الغريبة وسألتهم جميعًا إن كانوا يذكرون بالتحديد تاريخ يوم عودتهم من أمريكا... أحدهم قال لي: كان هذا في بداية الشتاء... وقال لي الآخر: كان غالبًا في شهر نوفمبر... أما تامر فقد كانت إجابته مختلفة عندما قال لي أنه يذكر بالتحديد يوم العودة لأنه كان اليوم التالي لعيد ميلاده... وبالتحديد كان يوم السفر هو يوم ٩ نوفمبر سنة ٢٠١٠ ..... أحدهم قال نوفمبر والآخر قال أيضًا نوفمبر... هل عادو جميعًا في نفس الشهر... هل عادوا في نفس اليوم؟... هل كانوا على نفس الرحلة؟...!!!... كيف لي أن أعرف...؟؟؟

... تذكرت صديقي الدكتور خالد عبد اللطيف فهو يعمل استشاريًا في مستشفى مصر للطيران... هل يستطيع مساعدتي؟؟... اتصلت به.

- دكتور خالد، أنا د. سمير... نعم، سمير هاشم...
- كيف أحوالك؟؟...

- الحمد لله... كنت أريد خدمة منك... كنت أريد مقابلة أحد المسئولين في شركة مصر للطيران...

- ضحك قائلاً: هل تريد ترتيب رحلة ما؟ هل تريد تخفيضًا على أسعار التذاكر؟...

- لا، ولكن لأمر هام خاص ببعض المرضى... سأحكي لك التفاصيل لاحقًا..

- قال لي: هذا أمر بسيط، سأرتب لك اللقاء مع أحد المسئولين...

وبعد قليل عاود الاتصال بي وأخبرني أنه حدد لي موعدًا مع أحد مسئولي الإدارة بالشركة...

... ذهبت في الموعد المحدد... واستقبلني المسئول الأستاذ س. فريد باهتمام مستفسرًا عن أي خدمة يستطيع تقديمها لي..... طلبت منه إمكانية معرفة تفاصيل إحدى الرحلات الخاصة بالشركة مع مراجعة قائمة الركاب... سألني أي رحلة؟؟... قلت له: الرحلة التي أقلعت من نيويورك يوم ٩ نوفمبر ٢٠١٠ وذلك لأمر هام جدًا يخص أحد المرضى... قال لي: ولكن هذا تاريخ قديم... على العموم سأحاول.. وهذا قد يستغرق بعض الوقت... شكرته وطلبت منه الاتصال بي إذا تسنى له الحصول على هذه المعلومات...

... لم أنتظر كثيرًا، ففي اليوم التالي حدث شيئان مهمان... الأول ظهور نتيجة التحاليل الجينية للمرضى والتي كانت جميعها سلبية مما زاد الموضوع غموضًا... الشيء الثاني هو أنني تلقيت مكالمة من الأستاذ س. فريد مسئول شركة مصر للطيران تفيد بحصوله على المعلومات المطلوبة وأنه يمكنني الحضور لمراجعتها...

... لم أكذب خبرًا وتحركت مسرعًا لمكتب السيد المسئول واستلمت منه قائمة الركاب متلهفًا... وأنا أراجع الأسماء المكتوبة... سامر... مجدي... شادي... تامر... هايدي... هذا عجيب... جميعهم فعلاً كانوا من ركاب هذه الرحلة... وعلى متن نفس الطائرة... كان شيئًا مثيرًا للدهشة مما جعلني أسأل الأستاذ س. فريد:... هل كان هناك أي ملاحظات عن هذه الرحلة بالتحديد؟... قال لي: ليس هناك ملاحظة سوى تأخر الرحلة ما يقرب من ٦ ساعات عن موعد الوصول... وشيء غريب آخر هو ما ذكره عن اختفاء الطائرة للحظات عن شاشات الردار ظنوا حينها أنه ربما كان ناتجًا عن تشويش وقتي للرادار... فكرت وسألته: وهل يمكنني مقابلة أحد أفراد طاقم الطيارين؟... الكابتن أو مساعديه... نظر إلى البيانات وقال لي: كان قائد الطائرة هو الكابتن أ. جاويش.. ومساعدوه.. كابتن م. عبد الرحمن... وكابتن ع. هيكل... إذن هل يمكنني مقابلة أحدهم؟... بدأ يشعر بالضجر من طلباتي الكثيرة..

ولكنه استأذنني قليلاً لإجراء بعض الاتصالات... ثم عاد بعد حوالي عشر دقائق يقول... للأسف الكابتن أ. جاويش توفي بعد هذه الرحلة ببضعة أشهر... وكابتن م. عبد الرحمن أصيب بجلطة دماغية منذ حوالي عام... أما كابتن ع. هيكل فقد ترك العمل بعد إصابته بمرض الزهايمر وأعتقد أنه لن يستطيع مساعدتك في شيء...

... أحسست أنني أغوص فوق المقعد الذي أعتليه وقد تصببت بالعرق انفعالاً وضيقًا... وأنا أشعر كمن أغلقت معه لعبة الدومينو من كل جانب... استأذنت من الأستاذ س. فريد بعدما طلبت منه الاحتفاظ بنسخة من قائمة ركاب الطائرة...

●●●

obeikandl.com

الحلقة الرابعة

... فكرت مرة أخرى في صديقي خالد عبد اللطيف والذي يعمل في مستشفى الشركة... اتصلت به وسألته...

- بالتأكيد هناك ملف صحي للموظفين العاملين بالشركة...
- نعم...
- هل يمكن الاستفسار عن الحالة الصحية لبعض الطيارين؟...
- لماذا؟... لقد أصبحت غامضًا...
- أعدك أن أشرح لك كل شيء إن وصلت إلى نتيجة...
- ألا تعرف أن هذا يعتبر من أسرار المرضى؟؟
- نعم أعرف، ولكن هذا قد يفسر ويخدم مصلحة بعض المرضى الآخرين... فكر قليلاً ثم قال:
- ومن هؤلاء الذين تريد الاستفسار عن حالتهم...؟

ذكرت له أسماء كابتن الطائرة ومساعديه... فوعدني بالمحاولة... وبعد حوالي ساعتين وجدته يتصل بي... ويقول أنهم

obeikandi.com

لم يكونوا يعانون من أي أمراض مزمنة أو حرجة... وكانت الفحوص الدورية كلها سليمة... ولكن... ولكن الكابتن توفي فجأة إثر أزمة قلبية... وأحد المساعدين أصيب بجلطة في المخ... والآخر أصيب بالزهايمر... شيء غريب...

... ازدادت الأمور غموضًا وتعقيدًا... طائرة اختفت لحظيًا عن شاشات الرادار... وتأخرت عن ساعة الوصول ما يقرب من ٦ ساعات... كان يستقلها كل هؤلاء... وجميعهم أصيبوا بنفس الأعراض المرضية... حتى الكابتن ومساعديه اختفوا من الصورة ولن يمكنني الاستعانة بهم لمعرفة الحقيقة...

وفي محاولة أخيرة اتصلت بمرضاي وسألتهم جميعًا إن كانوا قد شعروا بأي شيء غريب خلال رحلة الطائرة... ولكن للأسف جميعهم نفوا شعورهم بأي شيء غريب أو أي حدث غير عادي خلال السفر...

... كان هذا لغز مبهم لم أستطع تفسيره... وبعدما يئست من الوصول للحقيقة... كان ذلك اليوم الذي كنت أشاهد فيه التليفزيون بعد عودتي من العمل بالعيادة... ولفت نظري هذا الخبر عن إصابة العالم المصري المشهور الدكتور كمال الأزهري بمرض غريب يشتبه أن يكون مرض الشيخوخة المبكرة... كنت أعرف د.

كمال هو عالم مصري وأستاذ بكلية العلوم وله العديد من الأبحاث في علوم الفضاء... وهو شخصية مرموقة ومحترمة تشرف أي مصري... حزنت لمعرفة هذا الخبر وفي نفس الوقت فكرت.. هل يمكن ربط هذه الحالة بالحالات التي اكتشفتها سابقًا؟؟؟...

... قمت باحثًا عن قائمة ركاب الطائرة التي كنت أحتفظ بها... وبدأت أراجع مرة أخرى الأسماء... كمال... كمال الأزهري... نعم ها هو... نفس الاسم.. نفس الطائرة.. و.. نفس الأعراض...!!!

... الحل هو أن أحاول مقابلة الدكتور كمال... فقد أجد تفسيرًا لديه لهذه الحالات الغامضة.. هذا هو ما فكرت فيه... بحثت حتى علمت أنه يقدم محاضرات في إحدى الجامعات.... وبالفعل توجهت إلى الجامعة لمقابلته ولكنني للأسف اكتشفت أنه قد اعتذر عن المحاضرات لمدة أسبوع نظرًا لدخوله إحدى المستشفيات لإجراء بعض الفحوص الطبية والتحاليل بعد إصابته بوعكة صحية... سألت عن المستشفى التي دخل بها وعلمت أنها إحدى المستشفيات الخاصة في منطقة المعادي... كان لي زميل يعمل بهذه المستشفى فاتصلت به للتأكد من وجوده هناك...

... ذهبت إلى المستشفى وطلبت مقابلة الدكتور كمال... والذي وافق على مقابلتي بعد تعريفي له من قبل زميلي طارق فرحات

الذي يعمل بالمستشفى... في البداية أوضحت له أنني طلبت مقابلته بصفة ودية وفي نفس الوقت محاولة المساعدة حيث أنني أعمل في تخصص علاج هذه الحالات... ورغم حالة الإرهاق الواضحة عليه إلا إنه رحب بي وأبدى استعداده للتجاوب معي...

... سألته السؤال التقليدي: متى بدأت هذه الحالة؟... قال لي نفس الإجابة: منذ حوالي سنتين... سألته: وهل حدث هذا بعد عودتك من أمريكا؟... نظر إلي بذهول: كيف عرفت؟! نعم، بعد عودتي من أمريكا حيث كنت أقوم بتقديم بعض المحاضرات هناك... (أمريكا... مرة أخرى...!!! هذا ما ذكرته في نفسي)... أنا أذكر أيضًا التاريخ... كانت عودتي يوم ٩ نوفمبر سنة ٢٠١٠... ابتسمت سعيدًا بدقة العلماء في تحديد الأرقام والتواريخ... ويبدو أنه قد لاحظ ابتسامتي فقال لي ربما تتعجب أنني أذكر هذا التاريخ بدقة... هذا لأنها كانت آخر رحلة لي لأمريكا، وكانت رحلة غير عادية على الإطلاق...؟؟؟

●●●

الحلقة الخامسة

... ماذا حدث في هذه الرحلة؟؟؟

... كان هذا السؤال الذي سألته بلهفة...

... بعدها بدأ الحديث.....

... كانت بداية الرحلة طبيعية تمامًا... وقد بدأت الطائرة في التحرك من مطار جون كيندي بنيويورك في تمام الساعة السادسة والنصف مساءً كما هو مقرر لها... وكانت الصدفة الغريبة أنني اكتشفت أن الكابتن وأحد مساعديه معروفين لي.. وقد حضرا بعض المحاضرات التي كنت ألقيها والخاصة بعلوم الفضاء... وكانا على علم أنني مسافر معهم على نفس الرحلة...

... وبعد إلقاء تعليمات السلامة للركاب.. انطلقت الطائرة على ممر الإقلاع بأقصى سرعة للمحرك حتى إذا ما بارحت أرض المطار انطلقت تشق عباب السماء... كانت الدقائق التالية طبيعية تمامًا ولم يشعر أحد بأي شيء غير عادي... إلا أنني لاحظت أن مدة الارتفاع قد طالت ولم تنطفئ إشارة ربط الأحزمة عند وصول الطائرة للارتفاع المناسب للملاحة...!!!

... ومرت لحظات قبل أن ألمح مساعد الطيار يخرج من كابينة القيادة والتي كنت أجلس بمواجهتها وقد بدا عليه شيء من القلق... لم أسترح لنظراته فتوجهت إليه مستفسرًا ولكنه صمت وطلب مني الدخول معه الغرفة قبل أن يقول أن هناك خلل فجائي قد حدث في أجهزة روافع الطائرة.. مما جعلها تستمر في الصعود وإلى هذه اللحظة لم يمكنهم التحكم في الارتفاع... كانت لحظات حرجة فمعنى هذا أن الطائرة ستستمر في اختراق عرض الغلاف الجوي... وهذا قد يؤدي إلى أحد الاحتمالين إما أن تنفجر الطائرة نتيجة التفاوت الشديد في الضغط الخارجي عن الداخلي... وإما أن تستمر حتى تخرج خارج الغلاف الجوي وبالتالي قد نفقد السيطرة على الطائرة تمامًا ونتوه في الفضاء... وهذا في العادة لا يحدث لأن الأجسام إذا ما تجاوزت طبقتي التروبوسفير والاستراتوسفير فإنها تصل إلى طبقة الميزوسفير والتي تتحطم عندها الأجسام السريعة مثل النيازك والشهب... والتي يستحيل تجاوزها ما لم تكن المركبات مهيأة لاختراق هذه الطبقة الهامة من الغلاف الجوي...

... وأخذت أفكر معهم في الحل... هناك أكثر من قوة تتحكم الآن في الطائرة هي قوة المحرك ومعها قوة الطرد المركزي وهي القوى التي تدفع الطائرة خارج الغلاف الجوي... والقوة العكسية هي قوة الجاذبية الأرضية التي تدفعها في الاتجاه المضاد...

... ورغم أن الموقف كان حرجًا إلا أن الكابتن كان يحتفظ بهدوئه وهو يحاول إيجاد حل لإنقاذ ما يتجاوز المائتي راكب على متن الطائرة... كان الحل الأول بعد فشل محاولة إصلاح العطل الميكانيكي للروافع هو التقليل من سرعة دفع الطائرة بإنقاص عزم المحركات الدافعة... ورغم أنه قد خفضها لأدنى سرعة إلا أن الطائرة استمرت في الارتفاع بالقصور الذاتي وقوة الطرد المركزي...

... كانت الخطوة التالية هي محاولة الاستعانة بالمحركات العكسية لمقاومة سرعة الطائرة في الانطلاق ولكن هذا الحل كان يحمل بعض الخطورة لاحتمال توقف الطائرة وخضوعها فقط لقوة الجاذبية الأرضية مما قد يجعلها تهوي إلى الأرض... كنا نفكر بسرعة ونحاول إيجاد حل لهذه الحالة الحرجة... واستمرت المحاولات ما يقرب من النصف ساعة... وأخيرًا نجح الكابتن في إعادة روافع الطائرة إلى العمل... وأعتقد أنه بعد تخفيض سرعة الطائرة قل الضغط على الروافع فعادت إلى العمل... تنفسنا جميعًا الصعداء بعدما تمكن الكابتن من السيطرة على الطائرة سيطرة كاملة... وعاودت مسارها الطبيعي بعد خفض ارتفاعها للارتفاع المناسب...

... عدت إلى مقعدي وقد بدأت دقات قلبي في التصاعد تفاعلاً متأخرًا للأزمة التي واجهتها والتي حاولت خلالها أن أكون رابط الجأش... الجدير بالذكر أن الركاب لم يشعروا بأي شيء غير عادي واستأنفت الرحلة مسارها حتى عادت بسلامة الله إلى أرض الوطن... وما إن وصلنا حتى شكرت قائد الطائرة لحسن التصرف وهنأته بسلامة الوصول... وسجدنا جميعًا نقبل تراب أرض الوطن... كانت تجربة صعبة وقاسية ومنذ ذلك الحين لم أسافر مرة أخرى ولم أغادر أرض مصر...

ولكن الشيء المحير والمحير جدًا أننا اكتشفنا بعد الوصول أن الطائرة قد اختفت لفترة من شاشات الردار ثم عاودت الظهور مرة أخرى وأن الرحلة سجلت تأخيرًا لمدة ما يقرب من ٦ ساعات رغم أن جميع الركاب لم يشعروا بهذا التأخير...

... مرت لحظات صمت وأنا أفكر في هذه الأحداث الغريبة... وتذكرت ما سمعته عن هذه الرحلة التي تأخرت بدون تفسير واضح رغم إقلاعها في موعدها والتزامها بخط السير الملاحي المرسوم لها...

... سألته: ولكن ما تفسير هذا التأخير من وجهة نظرك يا دكتور كمال؟... صمت قليلاً وهو يفكر ثم قال: أعتقد أن الطائرة

ربما ولفترة قصيرة قد ابتعدت عن التأثير الكامل للجاذبية الأرضية وبالتالي خرجت لحظيًا من الإطار الزمني الأرضي والمرتبط بسرعة دوران الأرض...

... ولكن ما سر اهتمامك الشديد بحالتي؟... وتفاصيل ما حدث لي؟... كان هذا هو السؤال الذي وجهه لي... بصراحة يا دكتور كمال أكيد أنا أحاول المساعدة ولكن الحقيقة أنني اكتشفت حالات أصيبت بنفس المرض وفي نفس التوقيت تقريبًا... وشعرت أن هناك خيط يربط بينهم... وكانوا جميعًا عائدين من أمريكا... نظر لي نظرة طويلة وهو يفكر وقد قطب حاجبيه... كنت أشعر أنه لا ينظر إليَّ ولكنه سرح بعمق أكثر من هذا... ثم عاود التركيز وهو يسألني: وهل تأكدت أنهم كانوا على نفس رحلة هذه الطائرة... قلت: نعم تأكدت من ذلك بنفسي...

... سكت للحظات وكأنه يسترجع شيئًا... ثم نظر إليَّ قائلاً: ربما... ربما... فلقد تذكرت شيئًا آخر... لقد توفي كابتن الطائرة على أثر إصابته بأزمة قلبية حادة بعد هذه الرحلة بثلاثة شهور... كما أصيب مساعد الكابتن بجلطة بالمخ بعد حوالي عام... وهذا شيء غريب لأن الطيارين يخضعون لفحوص طبية مكثفة بصفة دورية للاطمئنان على لياقتهم الصحية تمامًا...

... كان حديث الدكتور كمال مطابقًا للمعلومات التي حصلت عليها من الأستاذ س. فريد ... وبدأت الخيوط تترابط في ذهني... بالرغم من أن هناك الكثير من الأشياء التي لازالت تحتاج لتفسير... والأهم هو معرفة سر ما حدث لهم من تغيير؟؟؟... كنت أريد أن أفكر وحدي وبعمق؛ لذلك فقد استأذنت الدكتور كمال شاكرًا له تعاونه معي... وواعدته باستمرار التواصل...

●●●

obeikandl.com

الحلقة السادسة

... عدت إلى المنزل... وأغلقت عليَّ باب مكتبي... ثم أغمضت عيني وبدأت أفكر بعمق... وأنا أحاول ربط الأحداث والمعلومات بالعلم والطب... وبعد حوالي ما يقرب من ساعة قمت أكتب ملاحظاتي... عند الخروج اللحظي للطائرة من سيطرة الجاذبية الأرضية حدث نوع من التحرر من التقيد الزمني المرتبط بزمن دوران الأرض... لم يعد هناك يوم، لم يعد هناك ليل أو نهار، لم تخضع في هذه اللحظات للساعة الزمنية المحسوبة بالزمن الأرضي... وتغير التقويم الزمني من التقويم الأرضي النسبي إلى الزمن المطلق... المهم أن الطائرة قد تحركت مسلوبة من تأثير جاذبية الأرض والتي تدور في اتجاه الشرق وبالتالي تركت الطائرة دون هذا التأثير وهذا يفسر لماذا تأخرت الطائرة هذه المدة الكبيرة بعد اختفائها اللحظي عن شاشات الرادار، بالرغم من عودتها لاحقًا لتأثير الجاذبية بعد سيطرة الكابتن عليها وإعادتها للارتفاع المطلوب... وأعتقد أنه في لحظات تحرر الطائرة من التقيد الزمني الأرضي تواكب هذا مع حدوث تغيرات فيسيولوجية وبيولوجية لخلايا الجسم لكل الركاب... أي تغير التأثير الزمني على نشاط الخلايا... والتي أصبحت متأثرة بزمن مختلف عن الزمن الأرضي المحسوب... ولم

تستطع استعادة طبيعتها المرتبطة بالزمن الأرضي... هل يمكن أن يحدث هذا؟... هل هذا هو التفسير؟... ولكن إن كان كذلك فلماذا لا يتأثر رواد الفضاء بهذه الظاهرة... ربما لأن المركبة الفضائية تكون مهيأة للتغلب على هذه العوامل... لا أدري ولكن هذا كان هو التفسير الذي توصلت إليه في حدود علمي ومعرفتي... ربما يكون شيئًا صعب تصديقه ولكن مقاييس الزمن ليست ثابتة فبماذا تفسر مثلاً سفرك بالطائرة إلى مكان يبعد آلاف الأميال ووصولك به بعد ما يتجاوز ١٢ ساعة ثم تجد أنك وصلت في توقيت يقارب توقيت بداية الرحلة... أو بالعكس إن سافرت من طرف الأرض إلى الطرف الآخر بالاتجاه العكسي في رحلة قد تستغرق ساعات قليلة ثم تكتشف أنك وصلت في اليوم التالي على توقيت الزمن الأرضي... ولماذا ذكر الله تعالى في القرآن الكريم التباين في طول اليوم والسنة؟...

... في اليوم التالي طلبت مقابلة الدكتور عبد الحميد شاكر رئيس القسم لأعرض عليه ما اكتشفته وما توصلت إليه من نتائج... ووجدته يبتسم متعجبًا من إصراري على البحث والتحري لمعرفة الحقيقة... ولكن عندما رأى ما انتهيت إليه من نتائج أبدى اهتمامًا أكثر رغم تحفظه على تحليلي وتفسيري لما حدث... قد يكون لإدراكه أن هذا التفسير يتجاوز حدود الطب والمعرفة... كان

هدفي من المقابلة هو التفكير فيما يمكننا تقديمه لمساعدة هؤلاء المرضى... واتفق معي على ضرورة معرفة كل هؤلاء المرضى ممن كانوا في هذه الرحلة وإجراء فحوص مكثفة لهم لعلاج أي عوامل من عوامل الخطورة كما هو متبع في المرضى المسنين على ألا يستبعد أحدًا بصرف النظر عن عمره الحقيقي... واقترح إجراء هذه الفحوص في يوم واحد وليكن في قاعة الاجتماعات...

... كنت أعلم أنها مهمة صعبة فكيف يمكن الاتصال بكل هؤلاء؟.. ولكن الهدف كان يستحق المحاولة... والحقيقة لا يمكنني إنكار مساعدة السادة مسئولي شركة الطيران للوصول لبيانات وأرقام تليفونات جميع الركاب... وتعاون طاقم الأطباء وسكرتارية القسم في التواصل معهم...

... كان عدد الركاب المسجلين على قائمة الرحلة ٢٣٤ راكب شاملين طاقم الطائرة... لم نستطع الوصول سوى لـ ١٠٨ راكب أما الباقين فبعضهم توفاه الله وبعضهم كانت حالتهم لا تسمح بالحضور... وفي اليوم المحدد لإجراء الفحوص حضروا في الموعد المتفق عليه... كانت أعمارهم المسجلة ما بين السابعة والثامنة والأربعين... وإن كانوا بالطبع يبدون أكبر من هذا كثيرًا... وقد كانت لفتة طيبة لحضور العالم الدكتور كمال الأزهري رغم أنني أدرك أنه قد أجرى هذه الفحوص سابقًا...

... وبعد اكتمال العدد المتوقع... وقبل إجراء الفحوص أوضح لهم الدكتور عبد الحميد السبب وراء استدعائهم وأهمية إجراء هذه الفحوص للاكتشاف المبكر لأي عامل من عوامل الخطورة التي قد تؤثر عليهم مستقبلاً... وترك لي توضيح ما اكتشفته في خلال الفترة السابقة... وفي دقائق شرحت لهم ملخص الأحداث منذ جاءني أول مريض وحتى اكتشاف ما حدث في خلال الرحلة... مما أصابهم جميعًا بالحيرة والدهشة... وبمجرد إنهاء حديثي والشروع في أخذ العينات فوجئت بتامر يريد الحديث... ووجدته يقول:

...في البداية نشكر الدكتور سمير هاشم على مجهوده الكبير في البحث ومحاولة الوصول للحقيقة... وبغض النظر عن التفسيرات التي قد تكون صائبة أو غير صائبة... وبرغم ظهور الشيخوخة عليَّ وتقدمي في العمر بسرعة على مدى سنوات قليلة... إلا أنني لم أشعر مطلقًا أن عمري قد مر سريعًا... لقد كانت تلك السنوات الأخيرة أكثر سعادة وأكثر إنجازًا من عشرات السنوات التي مضت من عمري... لم أشعر قط بأن عمري قد سرق... إن الحكمة ليست كم نعيش؟.. أو متى نعيش؟... إن الحكمة تكمن في كيف نعيش؟... كيف نملأ حياتنا نشاطًا وإنجازًا؟... كيف ننشر الحب؟ وكيف نترك الأثر؟... إن الفراشة تعيش أيامًا... والسلاحف تعيش قرونًا... فلتكن حياتنا مثل الفراشة... بالانطلاق للحب والجمال...

نزرع بذور أزهارها... نمتص رحيق ورودها... ونكمل صورتها ألوانًا وبهجة...

... وصمت قليلاً ثم استأنف حديثه قائلاً: أما زهرتي فها هي... وأشار إلى زوجته هايدي... وأما ثمرتي فها هي... ورفع ابنه الصغير فوق كتفه... وصمت مرة أخرى، ثم أكمل: وأما الفراشات... فهي نحن... أنا وأنتم... فدعونا ننسى السلاحف... ولنعش عيشة الفراشات...

... وقفنا جميعًا مشدوهين... نحيي تامر... بعدما غزل بكلماته خيوط الستار... ستار الخاتمة... للرحلة... الرحلة الأخيرة.....

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

أنين الأرواح

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الأولى

... دق جرس التليفون بإلحاح... كان قد مر وقت طويل منذ التقينا آخر مرة؛ لذلك فقد تحيرت من مكالمته الأخيرة لي... أعلم أن الحياة مشاغل؛ لذلك فأنا أقدر دائمًا ظروف أصدقائي الذين يغيبون عن التواصل معي كثيرًا... أدرك أنه ليس تقصيرًا... ولكنها الحياة التي أصبحت تلهي الجميع حتى عن السؤال... ولكن... لم تكن مكالمته لي هذه المرة طبيعية... كنت أحس من نبرات صوته أنه حزين ومهموم... وفوجئت به يطلب مني أن أزوره بالمنزل في أقرب فرصة...

... كان عصام من أكثر الشخصيات المحبوبة بالدفعة... كان إنسانًا بسيطًا ومرحًا؛ لذلك كان يمثل العامل المشترك في كل الرحلات والحفلات الجامعية.. فكان بحق فاكهة الكلية... كنت أعرف أنه تزوج من إحدى زميلاتنا في الجامعة وهي نسمة.. التي تصغرنا بدفعتين... وأذكر أنه قد ترك مجال العمل بالطب الإكلينيكي والتحق بإحدى شركات الأجهزة الطبية... حيث كان يشغل مركزًا مرموقًا بها... لا أعرف أخباره الآن فقد انقطع الاتصال به منذ فترة... ولكن ها هي فرصة جيدة لإعادة التواصل مع الزملاء القدامى...

obeikandl.com

... كان يوم الخميس هو اليوم الأنسب.. حيث أنه ليس لدي عيادة مسائية... قد يستغرق الطريق بعض الوقت... وبخاصة أنهم يقيمون في أطراف إحدى ضواحي القاهرة الجديدة... توجهت إلى منزل صديقي عصام في السابعة مساءً... وعندما وصلت وجدت المنزل في مكان منعزل وموحش... يبدو أنهم قد انتقلوا إليه حديثًا...

... استقبلني مرحبًا... ورغم أنه حاول أن يبدو مبتسمًا وبشوشًا كعادته.. إلا أنها الابتسامة التي تخفي خلفها همومًا دفينة... جلسنا معًا في غرفة الاستقبال... سألته عن أحواله... وعن أحوال نسمة... ففوجئت به يقول لي: هذا هو الموضوع الذي أريد أن أناقشك به... قلت: خيرًا، ماذا حدث؟؟... قال لي: نسمة قد أصيبت بحالة غريبة... لا أعرف سببها... ولقد عرضتها على الكثير من الأساتذة الأطباء ولم يستطيعوا علاجها.. أو حتى معرفة السبب...

وما هي الحالة بالضبط؟... قال: إنها حالة غريبة ومركبة.. لدرجة أنني لا أعرف أي تخصص يمكن أن تكون... فقد أصيبت بحالة ضعف شديد في الساقين... مع اضطراب في ضربات القلب... واختلال في الجهاز الهضمي... شيء غريب... قلت له: دعني أكشف عليها لتقييم الحالة بنفسي...

... قام عصام وتقدمني للذهاب إلى حجرة نسمة... كان يفصل حجرات النوم عن قاعة الاستقبال ردهة متوسطة في نهايتها ثلاث غرف... غرفتين نحو اليمين وغرفة نحو اليسار... سرت خلف عصام للوصول إلى حجرة بسمة والتي كانت الحجرة الثانية على اليمين... ولكن لا أدري ما هذا الشعور الذي انتابني وأنا أمر أمام الغرفة الأولى والتي كانت مغلقة... كان إحساس غامض.. لم أستطع تفسيره في حينها...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الثانية

... دخلت غرفة بسمة والتي كانت تجلس على الفراش في حالة تأثر... أجريت الكشف الطبي عليها... وبالفعل اكتشفت أن هناك اضطراب في ضربات القلب... وآلام في المعدة... وضعف شديد في الأطراف السفلية... لم يكن هناك شيئًا آخر ملفتًا.. إلا أنني وجدت كلبها قابعًا بجوار الفراش.. ويبدو عليه حالة توتر شديد... كنت أعرف عنها حبها الشديد للحيوانات وعطفها عليهم وبخاصة كلبها هذا...

... جلست لكي أضع احتمالات التشخيص... فهناك بعض الأمراض التي تصيب أكثر من جهاز في أجهزة الإنسان مثل أمراض المناعة وبعض أمراض الأعصاب... المهم أنني طلبت من عصام إجراء بعض الفحوص والتحاليل الضرورية لمحاولة التوصل إلى التشخيص الصحيح... بالرغم من أنه أخبرني بإجراء معظم هذه الفحوص من قبل... واتفقت مع عصام على عمل الفحوص والتحاليل في أماكن معينة لضمان دقة النتائج...

... انتظرت بعض الأيام حتى اتصل بي عصام يخبرني بظهور نتائج الفحوصات... وكنت قد اتفقت معه على الحضور لمعرفة

النتائج ومتابعة حالة نسمة الصحية بنفسي... وذهبت في نفس اليوم لرؤية نسمة... والغريب في الموضوع أنني وجدت أن جميع نتائج التحاليل كانت سلبية أي طبيعية حتى الأشعات المقطعية والرنين المغناطيسي وفحوص القلب والموجات الصوتية لم تظهر أي شيء غير طبيعي... وبمتابعة حالتها وجدت الحالة كما هي... وليس بها أي تحسن... المهم أنني وصفت لها أدوية لتنظيم ضربات القلب مع بعض المقويات للأعصاب والعضلات... وأدوية للمعدة... كنت أدرك أنه علاج للأعراض أكثر منه علاجًا لأصل الحالة المرضية الغير واضحة الأسباب...

... خرجت من غرفتها أفكر.. ولا أدري لماذا انتابني هذا الإحساس الغامض والغريب عندما مررت أمام هذه الحجرة المغلقة.. بل والأغرب أنني تخيلت كأنني أسمع صوتًا غريبًا من خلف الباب... التفت لعصام... وأحسست بنظرات غير مفهومة... وانصرفت وأنا لازلت أفكر في هذه الحالة المحيرة...

... لم يمض أكثر من ثلاثة أيام حتى اتصلت بعصام لأعرف منه تطورات حالة نسمة... والذي قال لي أنه ليس هناك أي تحسن في الحالة بل إنه يرى أنها من سيء إلى أسوأ... كنت أشعر في أسلوبه بشيء من الجفاء... ولا أدري إن كان هذا الشعور حقيقيًا أم

أنه إحساسي أنا لفشلي في تشخيص الحالة والتوصل إلى العلاج المناسب...

... ولكن... ولكنني بدأت أفكر في احتمالات أخرى... هل يمكن أن يكون لعصام دور فيما حدث لزوجته؟... صحيح أننا كنا أصدقاء... وأعرف أن عصام شخصية محبوبة... ولكنني لا أدري لماذا شعرت أنه قد تغير في الفترة الأخيرة... وهناك أسرار صعب معرفتها بين أي زوجين... كيف لي أن أعرف؟!... وحتى إن عرفت... فماذا أفعل... وعدت أتساءل... هل هناك علاقة لعصام... بما يحدث لنسمة؟؟...!!!...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الثالثة

... بعد أسبوع وجدت عصام يتصل بي مرة أخرى.. ويقول لي أن نسمة قد بدأت تنتابها حالات غريبة من التوهان وعدم التركيز وضعف في الذاكرة.. وأيضًا نوبات خوف وهلع.. مع بعض الهلاوس السمعية والبصرية..... قلت في بالي: ما هذا ...؟... إنها حالة تشبه حالات الزهايمر... ولكن الزهايمر في هذا السن...!!!... إنه شيء نادر الحدوث فهي لم تتجاوز الأربعينات من العمر... وبدأت أراجع المجلات والمراجع العلمية لأتأكد إن كان هناك حالات أصابها هذا المرض في هذا السن... حيث أن غالبية المرضى يصابون بهذا الداء بعد سن ٦٥... وتأكدت من صعوبة هذا الاحتمال...

... ولأنني كنت من الشغوفين بمشاهدة الأفلام العربية القديمة فقد تذكرت حالة فاتن حمامة في فيلم موعد غرام.. حينما أصيبت بالشلل دون أي سبب واضح... سوى أنها رأت من يصطاد العصفورة... وحالة زبيدة ثروت.. في فيلم الملاك الصغير.. عندما ماتت لمجرد أن تركت منزلها... وحالة صالح سليم في فيلم الشموع السوداء.. عندما استعاد بصره.. بعد وقوعه من فوق السلم... وغيرها... تلك الحالات التي كانت السبب وراء التحاقي بكلية الطب بحثًا عن أسبابها... والتي إلى الآن لم أجد لها أي تفسير علمي...

.. وأفقت من خيالي... فأنا لا أشاهد الآن فيلمًا عربيًا قديمًا .. حيث يترك المجال لخيال المؤلف.. لتكييف الأحداث كيفما يشاء.... لكنني أمام حالة حقيقية... ولاشك أن حالة نسمة وراؤها شيء غامض... لا أجد له تفسيرًا منطقيًا حتى الآن...

... وأمام حيرتي الشديدة... قررت الاتصال بأستاذي الأستاذ الدكتور محمود عاكف... أستاذ الأمراض الباطنية.. فلديه خبرة كبيرة في تشخيص الحالات الصعبة والمعقدة... ويعتبر من القامات الرفيعة في الطب والأخلاق... وكنت دائم الاتصال به.. حتى بعد خروجه على المعاش.. المهم أنني شرحت له الحالة بالتفصيل... ونتائج كل الأبحاث التي أجريت لنسمة... وكان رأيه أنه من الصعب أن تكون حالة مرضية عضوية... وأشار إليَّ بالبحث عن تفسير آخر.. وخاصة الظروف النفسية والأسرية المحيطة بها.. ونصحني بوجوب إيجاد حل عاجل لها؛ لأنه حتى إن لم يكن هناك مرضًا عضويًا... فقد يكون هناك خطورة على المريض.. وعلى من حوله؛ لذلك فقد سارعت بالاتصال بعصام... وطلبت منه ضرورة عرض حالة بسمة على طبيب أمراض نفسية وبصفة عاجلة...

... ومرت الأيام.. وقد انشغلت في عملي... ولكن بعد حوالي شهرين.. وأنا أطالع الجريدة الصباحية.. وبينما كنت.. أقلب.. الصفحات.. مع فنجان النيسكافيه... كعادتي.. يوميًا.. كل صباح.. فوجئت.. باسم... عصام... في صفحة... الوفيات...!!!...

الحلقة الرابعة

... عفواً، لم يكن عصام هو المتوفى... وإنما كان اسمه على النعي الخاص بحميه... وأشفقت على المسكينة زوجته... وتذكرت حالتها... التي بالتأكيد ستتأثر كثيرًا بوفاة والدها.. والحقيقة وجدت من الواجب الذهاب لأداء واجب العزاء...

... كان العزاء في أحد المساجد القريبة... بجوار منزل حميه المتوفى.. ذهبت.. وهناك وجدت عصام يقف في صفوف المعزيين كان وجهه شاحبًا ومختلفًا عما أعرفه فقد أطلق لحيته وشعره بلا اهتمام... قدمت له العزاء وتوجهت داخلاً إلى القاعة... رأيت زميلنا فادي جالسًا وبجواره كرسي شاغر... فجلست بجواره بعد تحيته نسمع قراءة آيات الله البينات...

... وبعد قليل.. وبين الربعين حضر عصام ليجلس بجوارنا... وبعد تبادل كلمات التعازي.. وجدتها فرصة للسؤال عن نسمة... تغير وجهه أكثر وهو يقول لي.. أن الحالة تدهورت كثيرًا في الفترة الأخيرة... شعرت بالأسى... نظرت إليه وعلى لسان حالي التساؤل الذي ورد على خاطري من قبل... ووجدتني أسأله عن علاقته في الفترة الأخيرة مع زوجته.. وهل هناك أي خلافات قد

عمقت المشكلة؟... نظر إليَّ بإنكار شديد.. مما أحرجني وزاد من حيرتي... ولكن والملفت للنظر.. أنني علمت منه أنه لم يستشر أي طبيب نفسي كما نصحته...

... انتبه فادي لحديثنا وسأل مستفسرًا عن تفاصيل الموضوع... وبكلمات قليلة أوجز له عصام الموضوع... شرح الحالة وأننا لم نجد أي تفسير طبي أو علمي لما حدث لنسمة... فوجدنا فادي يقول: مشكلتكم أنكم تحاولون دائمًا إيجاد تفسيرات علمية وطبية لكل شيء.. رغم أن هناك أشياء خارج نطاق العلم والطب... نظرنا إليه بتعجب... وقال له عصام: ماذا تقصد؟... قال: ألا يمكن أن تكون.. عين.. حسد مثلاً... أو أشياء أخرى لا تدركونها... نظرت إليه وأنا أقلب شفتاي متعجبًا: نعم، نحن نؤمن بوجود الحسد فهو مذكور في القرآن والرسالات السماوية... ولكنني لست مقتنعًا بتفسير الأشياء على هذا النحو..... استمر فادي في الحديث وهو يقول لعصام.. ثم إنني أعرف أنكم قد انتقلتم إلى منزلكم هذا حديثًا... ألا يمكن أن يكون لهذا علاقة بالموضوع... زوجتك يا عصام... لا تحتاج لدكتور... زوجتك تحتاج لشيخ.. وأنا سأحل لك هذه المشكلة... بمشيئة الله...

... كان معروفًا عن فادي تفكيره دائمًا في الروحانيات.. وشغفه

بقراءة كتب عما وراء الطبيعة... وصمتنا فقد بدأ القارئ في تلاوة الربع التالي... انتظرت حتى استمعت إلى ربع القرآن.. ثم قمت للانصراف بعد أن صافحت عصام معزيًا مرة أخرى... انصرفت ولازالت ترن في أذني كلمات فادي... ماذا يمكن أن يكون؟... هل يكون هناك تفسيراً آخر؟... وماذا يقصد بقوله خارج نطاق العلم والطب؟... هل يمكن أن يكون كذلك؟... كنت أفكر وأنا أردد في خاطري كلمات الله تعالى... (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله).... ولكن..... هناك أشياء كثيرة لا نستطيع تفسيرها بتفكيرنا وقدراتنا العادية...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الخامسة

لم أتوقع أن يتصل بي بهذه السرعة فبعد يومين وجدته يتصل ويخبرني أنه قد اتفق مع فادي على الذهاب إلى أحد الشيوخ لمحاولة إيجاد حل لمشكلة نسمة... وفوجئت به يطلب مني الذهاب معهم... ورغم محاولتي الاعتذار إلا أنه وأمام إلحاحه لم أجد مفرًا من القبول... والحقيقة أني من داخلي قد بدأ ينتابني شعور بالفضول لمعرفة الحقيقة...

حضر إليَّ بسيارته لمصاحبتهما إلى هذا الشيخ... وكان عصام قد قرر ألا يحضر معه نسمة في المرة الأولى حتى يتحقق من الأمر... ولا أدري لماذا كان الإصرار على أن يكون اللقاء في المساء... تحركت السيارة بنا وعلى ما علمت أننا في اتجاهنا إلى الفيوم... وصلنا في حوالي الساعة الثامنة وقد خيم الظلام على الطريق ونحن نتجه إلى أحد المنازل القديمة في قرية سنورس وبعيدًا عن العمار... دخلنا إلى المنزل فوجدنا الشيخ وهو شخص عادي يرتدي جلبابًا طويلاً وبلحية قصيرة... جلس وجلسنا معه بعد إلقاء السلام... وبعد دقائق حضر شاب صغير في حوالي الثامنة عشر إلى العشرين من العمر... لم يتحدث الشيخ كثيرًا ولكنه طلب من الشاب أن يستلقي على الأرض ورغم أن الجو كان

حارًا إلا أنه غطاه ببطانية ثقيلة... ثم أطفأ الأنوار ولم يترك سوى ضوء خافت... وفجأة وجدته ينظر إليَّ باستنكار... في البداية لم أفهم نظراته ولكنه أشار إليَّ بفك أصابعي وعدم وضعها في حالة تشابك... ثم بدأ يقرأ بعض التعاويذ... وبعد قليل بدأ يحدث الشاب المغطى بالبطانية... ولاحظنا تغير صوت الشاب في الحديث وكأنه شخص آخر... ثم طلب منَّا أن يكتب كل منَّا أي كلمة في ورقة صغيرة ويطبق عليها يديه... ففعلنا... وبدأ يسأل الشاب عما كتب في الوريقات المطبقة بأيدينا فردًا فردًا... والعجيب أنه أخبرنا فعلاً بكل كلمة مكتوبة في الورق رغم أن الورق لازال في أيدينا وهو مغطى تمامًا بالبطانية... المهم بدأ يسألنا عن حاجتنا فتحدث عصام وقص عليه مشكلة نسمة... وبعد قراءة بعض التعاويذ وجدنا الشاب يقول أن سبب معاناة نسمة هو شخص يحبها... شخص يحبها؟؟؟... إذن وما الحل؟... قال يجب أن تحضر بنفسها لنعرف إن كان هناك عمل مدير لها... أو هناك جان قد مسها... صمت... بعد أن قرأ بعض التعاويذ... ثم رفع البطانية من فوق الشاب النائم على الأرض فهب واقفًا... وقد لاحظنا تغير لون عينه إلى الأحمر وقد بدا عليه الإرهاق الشديد... قمنا من مجلسنا بعدما استأذنا من الشيخ على وعد بالحضور مرة أخرى مع نسمة...

... استقلينا السيارة ونحن جميعًا صامتون حتى قطع صمتنا صوت عصام قائلاً: ما رأيكم؟... ماذا نفعل؟ وهل هذا صحيح؟... قلت له: رغم أن ما حدث هذا شيء غريب.. إلا أنني لا أوافق على حضور نسمة إلى هذا المكان وتعريضها لمزيد من الضغط النفسي... كان هذا هو رأيي الشخصي... بينما كان رأي فادي أن تحضر نسمة لاستكمال البحث عن حل لها...

... عدت إلى منزلي وقد قررت ألا أشارك مرة أخرى في مثل هذه المواقف... كنت أشعر بعدم الراحة وعدم الاقتناع بحل المشاكل بهذه الطريقة.. رغم ما رأيت من أشياء خارقة للطبيعة...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة السادسة

... انقطعت الأخبار لفترة... ربما لشهور أو سنة أو سنتين لا أذكر بالدقة.. فالأيام تمر متشابهة والشهور متلاحقة والساعات كالثواني... وخلالها حاولت الاتصال بعصام أكثر من مرة... وكان دائمًا تليفونه مغلقًا... حتى كان ذلك اليوم الذي وجدت فيه رقمًا غريبًا يتصل بي على تليفوني المحمول... ورغم أن الكثير من الناس لا يردون على الأرقام الغريبة وبخاصة الأطباء... لكنني دائمًا أحرص على الرد على كل التليفونات.. خوفًا من أن يكون هناك مريض يحتاج استشارة عاجلة أو حالة طارئة..

... ألو... دكتور خالد؟... نعم، أنا... خالد... أنا عصام... عصام أنيس... انتابتني فترة صمت لحظي قبل أن أرد... عصاااام... فينك من زمان... كيف أحوالك؟... كان صوته مختلفًا مرة أخرى ولكن هذه المرة كان مرحًا ولطيفًا كما عهدته منذ بداية معرفتي به... وعندما استفسرت منه عن عدم رده على مكالماتي التليفونية أخبرني أنه قد غير رقم تليفونه... المهم علمت أن سبب الاتصال بي هذه المرة هو دعوتي لحضور حفل زفاف ابنتهما الوحيدة... سلمى... قلت في بالي: أخيرًا، أسمع منك خبرًا سعيدًا يا عصام... هنأته ووعدته بالحضور...

نعم.. سلمى.. ابنتهما الوحيدة... كيف نسيتها؟!... كيف لم تكتمل الصورة في ذهني؟!... وأين كانت عندما زرتهم في المنزل؟!... إنني لم أرها منذ سنوات ومنذ كانت طفلة صغيرة... والآن أصبحت عروسة... كيف مرت الأيام سريعًا علينا هكذا؟!.. كيف يسرق عمرنا؟!... ودون أن ندري...

... وتذكرت حالة نسمة... وأخذت أفكر... نسيت أن أسأله.. عن حالها الآن... كيف فاتتني هذا؟... هل استشار طبيبًا نفسيًا؟... أم اصطحبها للشيخ كما نصحه فادي.. وهل ستتمكن نسمة من حضور فرح ابنتها؟... أسئلة كثيرة جالت بخاطري... ولكنني.. أرجأت الإجابة عليها مؤقتًا... لحين حضور حفل الزفاف...

... كان الحفل في أحد الفنادق الفاخرة المطلة على النيل... أنا أحب هذا المكان... هو يعطيني الإحساس بجمال مصر العريقة... هذا الكنز الذي لا يعرف قيمته الكثيرون.. ورغم أنني قد سافرت كثيرًا وزرت العديد من الدول الشرقية والغربية.. إلا إنني لم أجد مكانًا أشعر فيه بهذا الشعور من الدفء والسعادة.. ويعيدني إلى ذكريات جميلة لا تنسى... ورغم تغير المكان وازدحامه إلا أنه لازال محتفظًا برونقه...

... تركت سيارتي وصعدت إلى قاعة الحفلات والتي كانت في الطابق الأول... وجدت عصام يقف على باب القاعة لاستقبال المدعويين... كان يقف وحده... ولاحظت أنه كان شديد التأنق كما لو كان هو العريس... استقبلني بابتسامة واسعة وبحفاوة كبيرة... هذه الابتسامة التي كانت غائبة عن وجهه منذ فترة... ولكن... ما إن توجهت معه.. إلى داخل القاعة.... حتى.. كانت..... المفاجأة.....

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة السابعة

... ما إن توجهت مع عصام.. إلى داخل القاعة.... حتى.. كانت..... المفاجأة.....

... إنها نسمة... تسير على قدميها بصحة ونشاط وتبدو متألقة في فستانها السواريه الأسود المطرز بالخيوط الذهبية... كأنها قد عادت لسن العشرينات.. كما كنا نراها أيام الدراسة بالجامعة... اتجهت إليَّ لاستقبالي وللترحاب بي وبزوجتي... واصطحبتني إلى إحدى الطاولات المخصصة للأصدقاء من الدفعة... أصابني الذهول تمامًا حتى أنني لم أنتبه من كان يجلس بجواري على الطاولة...

... كان عقلي يعمل بشدة محاولاً إيجاد أي تفسير وأنا أراها تتحرك بخفة ومرح بين الطاولات للاحتفاء بالمدعويين والتقاط الصور معهم... ثم ترقص مع ابنتها على أنغام الموسيقى الشبابية السريعة... نظرت بجواري فرأيت فادي صديقنا والذي كان جالسًا على نفس الطاولة وهو يبتسم ابتسامة واسعة... هل هي ابتسامة المنتصر؟...

... وبدأت أشك في نفسي... لقد كشفت على نسمة بنفسي... وكانت هناك أعراض مرضية حقيقية وليست وهمًا أو خيالاً... كيف تحولت هكذا؟... هل هي إنسانة أخرى؟!... هل لنسمة مثلاً أخت توأم ونحن لا نعرف؟... إن الشبه متقارب جدًا... بل هي كما عرفناها منذ زمن... هل هناك بالفعل شيء خارق خارج نطاق العلم والطب؟... هل نجح فادي فيما فشلت فيه أنا؟...

... لم أستطع الانتظار طويلاً وقد ازداد فضولي لمعرفة سبب هذا التغير الكبير الذي طرأ على نسمة.. من حالة إنسانة قعيدة منهكة إلى هذه الحالة من الصحة والنشاط... قمت من مجلسي واتجهت إلى عصام... حيث كان يمازح الجميع كعادته... جذبته من ذراعه.. وطلبت منه مصاحبتي لخارج القاعة بعيدًا عن الصخب والإزعاج الذي يملأ القاعة... نظر إليَّ متعجبًا... ولكن بنظرة مني فهم ما كان يشغلني... كنت أعرف أنه ليس من اللياقة أن أطلب منه ترك الحفل والمعزومين في هذا التوقيت... ولكنني كنت أريد أن أعرف تفاصيل ما حدث... قبل أن أجن...

... جلسنا معًا في تراس الفندق وأنا أسأله عما حدث... منذ التقينا آخر مرة... وبدأ يتحدث بهدوء مثير... قال: كما قلت لك من قبل أن حالة نسمة قد ساءت لدرجة أنني عندما يئست من

العلاج الطبي فكرت في الاستعانة بأحد الشيوخ ومن يدعون العلم بالروحانيات كما أشار عليَّ فادي... كنت مترددًا جدًا في اللجوء إلى هذه الطريقة... وقبل أن أقدم على هذه الخطوة... اكتشفت شيئًا ... ولاحظت ملاحظة غريبة...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الثامنة

... كان الشيء الملفت للانتباه أن هذا التغير قد حدث بعد وفاة والدها... وبالرغم من تأثرها الشديد جداً لوفاته إلا أنه و بعد مرور عدة أيام على وفاته بدأت ألحظ التحسن التدريجي في حالتها حتى شفيت تماماً... وهذا جعلني أفكر بصورة مختلفة... وأسترجع أشياءً لم أدركها في حينها... كنت أعرف أن نسمة تتعاطف كثيراً مع من تحب... وقد كانت شديدة الارتباط بوالدها.. لدرجة أنها عاشت معه وبمشاعره بصورة متطابقة... ربما يكون هذا شيء صعباً تصديقه وبخاصة أن الشكوى كانت متلازمة مع الأعراض المرضية... ولكن هذا ما حدث بالفعل... كان والدها يعاني من اضطراب بضربات القلب وهو التذبذب الأذيني... وقد أصيب بفقرات ظهره نتيجة سقوطه على الأرض مما ترك أثراً في ضعف حركة الأطراف السفلية... وأخيراً اكتشفنا إصابته بورم خبيث بمعدته... وكان هذا متزامناً مع إحساسها بالاضطراب في جهازها الهضمي... سألته: وهل كان والدها يقيم معكم بالمنزل؟... قال لي: نعم، كان يقيم بالحجرة المجاورة لحجرتنا... سألته: ولكن أليس من الغريب أنك لم تخبرني بحالة والد نسمة؟... قال: الحقيقة أن هذه كانت رغبة نسمة فهي لم تكن ترحب برؤية الآخرين لوالدها

بهذه الصورة... وخاصة بعدما أخبرها الأطباء أن الحالة ميئوس في شفائها...

... وهنا تذكرت هذا الشعور الغامض الذي انتابني عندما مررت من أمام حجرته... وتفسير شعوري هذا... فبحكم عملنا لفترات طويلة بالمستشفيات أصبحنا نشعر برائحة المرض الممزوجة برائحة الدواء والسوائل المطهرة... فعلاً كان هذا هو شعوري وأنا أمر دائمًا بجوار الغرفة... ابتسمت واعتذرت لعصام لتعطيله عن مدعويه وفرح ابنته ولكنه كان متقبلاً ومقدرًا للأمر بصدر رحب...

... امتدت الحفلة لبعد منتصف الليل... ولكن لأنني لا أحب السهر كثيرًا خارج المنزل فقد استأذنت في الانصراف بعد تهنئة عصام ونسمة مرة أخرى ولم أنسَ بالطبع المباركة لابنتهما سلمى هي وعريسها...

... عدت إلى منزلي وأنا أشعر بالسعادة... هي سعادة مركبة... أولاً لشفاء نسمة وعودتها لحياتها الطبيعية... وطبعًا لزواج ابنتها... ولكن الشيء الذي أشعرني بالراحة تأكدي أنني لم أكن مقصرًا في تشخيص وعلاج نسمة... وأخذت أفكر بإمعان... المشكلة أننا ننظر للإنسان المريض عادة بنظرة التقييم لحالة أعضائه وأجهزته... ولكننا ننسى شيئًا هامًا... أن الإنسان

ليس مجرد أجهزة وأعضاء... وإلا لكان مثله كأي جهاز كهربائي أو ميكانيكي... إننا نغفل ما في النفس من المشاعر والأحاسيس والروح...

... هناك الكثيرون ممن يدعون أنهم يحبون... وهناك من يصدقون في شعور الحب... بعضهم من يحبون ويشعرون بمن يحبون... والقليلون من يحبون ويشعرون بما يشعر به من يحبون... وقلما تجد من يحبون ويعيشون بمشاعر من يحبون... ربما هذا ما حدث لنسمة... فقد عاشت بمشاعر والدها وأحست بمعاناته... بأعراض مرضه... لحظة بلحظة... حتى إذا ما حان الأجل... تحررت الروح المقيدة من الجسد المتهالك وانطلقت عائدة إلى بارئها... واطمأنت أن الخالق قد استرد وديعته... وشعرت أنه قد أصبح في مكان أفضل.. بلا معاناة.. بعيدًا عن مشاعر الألم والمرض... وبالرغم من حزنها الشديد على فراقه... هدأت نفسها وعادت تعيش بمشاعرها المطلقة... وحياتها الطبيعية... ولكن هل هذه هي النهاية؟!... هل يمكن أن يكون هذا هو التفسير؟!... هل هذا هو التشخيص؟!... وهل شفيت نسمة بالفعل وانتهت معاناتها؟!...

●●●

obeikandl.com

الحلقة التاسعة

... بعد حوالي أربعة أشهر... كان موعد اللقاء السنوي لخريجي الدفعة... هذا هو العام السادس والعشرون على تخرجنا... وكنا قد اعتدنا على تنظيم اللقاء السنوي في قاعة أحد النوادي... وكنت أحرص دائمًا على حضور هذا اللقاء... كم هو جميل أن نلتقي ونسترجع معًا ذكريات الماضي الجميل... نعرف أخبار البعض... ونتبادل الآراء في مختلف الشئون... لاسيما أنني قد علمت أن عصام ونسمة سيحضران هذا اللقاء بعد غيابهم عن الحضور لعدة أعوام... ووجدتها فرصة جيدة للقائهما خاصة أنهما يضيفان جوًا جميلاً ومرحًا بحضورهما...

... في تمام الساعة السادسة مساء وهو الموعد المتفق عليه كنت في القاعة... وتوالى حضور الزملاء والأصدقاء... وما بين التحية والترحاب والضحك والمرح كان اللقاء كالعادة... ولكن... ولكن عصام ونسمة تأخرا في الحضور... حتى ظننت أنهما ربما يكونا قد اعتذرا... وفجأة ظهر الاثنان يدخلان القاعة... كان عصام مبتسمًا ولبقًا في تحية الجميع كعادته... أما هي... أما نسمة... فكان يبدو عليها الإعياء وقد شحب وجهها... وبدت بصورة مختلفة عن الصورة التي كانت عليها في حفل زفاف ابنتها...

جلست وهي تحاول رسم ابتسامتها للجميع... ولكنها بالتأكيد لم تكن على طبيعتها... وبدأت أتساءل... ماذا حدث مرة أخرى؟.... إن هناك ولا شك تدهورًا جديدًا قد طرأ على حالتها...!!!

وبعد قليل قمنا لتناول العشاء سويًا... وما إن حضر الطعام حتى فوجئنا بنسمة تنتابها حالة غريبة فتقوم من مجلسها.. حيث أصابتها نوبة من الغثيان والقيء الشديد وذهبت مسرعة إلى دورة المياه... قام عصام خلفها بهدوء... ثم وجدناه يعود بعد فترة وجيزة وهو يبتسم بلا مبالاة... مما أصابنا جميعًا بالحيرة والدهشة... ولم تستمر حيرتنا طويلاً بعدما بددها عصام بقوله: لا تقلقوا يا جماعة... الموضوع في غاية البساطة... فإن ابنتنا سلمى... حامل...!!!... عقبال عندكم جميعًا... قال هذا وهو يضحك ضحكة عالية... فانفجرنا جميعًا ضاحكين... ونحن نصفق ونضرب كفًا بكفٍ بعدما عرف وعرفنا معه السر... إنه سر.. تناسخ المشاعر... توارد الأحاسيس... و... تعاطف الأرواح...

...الخاتمة ...

... ويظل التساؤل الحائر... هل تشعر الأرواح بأنين من تحب؟... تتعايش معه ومع مشاكله... تشاركه في مشاعر السعادة والحزن... النشوة والألم... الصحة والمرض... وهل ينعكس هذا

التعاطف إلى معاناة عضوية وجسدية؟؟؟... هل هذا يفسر ما يطلقون عليه في الطب سيكوسوماتيك؟... وما هو إلا أنين للأرواح...؟؟؟... ربما... ولكن... لا أدري... إنها أسئلة ليس لدي إجابة عنها... بل لا يملك إجابتها مخلوق...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

التوأم

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الأولى

... إنه شيء جميل حقًا أن يكون لك أخ توأم... إنه شيء رائع أن تجد من يشاركك الحياة لحظة بلحظة... يقاسمك المشاعر والأحاسيس... ويجعلك تعيش الحياة كأنك تعيشها مرتين... وترى الدنيا بأربعة عيون بدلاً من عينين... فتكون رؤيتك ممتدة الأبعاد... تجده دائمًا بجانبك جسدًا وروحًا.. يعينك عند الحاجة ويدفع عنك الضرر... يفرح لفرحك ويحزن لحزنك... وتعرف من خلاله أشياء كان من المستحيل عليك إدراكها بدونه...

... ولقد كان لي هذا الحظ السعيد لكوني نشأت بجوار أخي التوأم... كانت حياتنا مثالاً للحب والتعاون والمشاعر المتناسخة... ولقد تربينا وكبرنا معًا يومًا بيوم بل ثانية بثانية... ولم نكن نفترق إلا نادرًا... فكنا مثالاً لفلقتي حبة متساويتين قد غلفهما غلاف متين من الود والإيثار...

... كانت نشأتنا في مدينة الإسكندرية الجميلة حيث الجو الجميل والهواء العليل... البحر والمرح والانطلاق... في زمن صاروا يسمونه فيما بعد الزمن الجميل.. وقد كان جميلاً حقًا...

... ولم تخل حياتنا من مفارقات وطرائف عديدة لكوننا توأم... فأذكر مثلاً أن المدرس كان أحيانًا يخطئ ويعاقب أحدنا بدلاً من الآخر... ورغم هذا لم يكن من يعاقب يرفض أو يشي بأخيه... كنا أحيانًا نغافل الطبيب ونتقاسم جرعات الدواء.. وحتى الحقن كنا نأخذها بالمشاركة كل يأخذ جرعة بالتبادل دون أن يدري الطبيب...

... كانت الوحيدة التي لا نستطيع خداعها هي والدتنا والتي كانت تستطيع التمييز بيننا مهما حاولنا حتى وهي مغمضة العينين... وكان والدنا قد توفي وهو في الخمسينات من العمر... وتولت والدتنا تربيتنا... وكانت شخصية قوية ومؤثرة بما ترك أثرًا كبيرًا في طبيعة حياتنا من طاعة والتزام...

... ولقد ترافقنا وتزاملنا وتدرجنا معًا في المراحل الدراسية خطوة بخطوة.. حتى عندما أتممنا الدراسة الثانوية التحقت أنا بكلية الشرطة والتحق هو بكلية الحقوق.. فلم يكن حتى هناك فارقًا كبيرًا في طبيعة الدراسة بيننا...

... وعندما وصلنا لسن النضج والرجولة.. كان لا مفر سوى الاستقلال كلاً بحياته الأسرية بعد الارتباط بشريكة العمر... تزوجت... ورزقني الله بالذرية الصالحة فكان لي ابن وابنة... أكرم وعالية... كنت قد أحسنت تربيتهما أو هذا ما تهيأ لي...

... وبالرغم من أننا ابتعدنا قليلاً عن بعض.. إلا أننا كنا دائمي التواصل والتوافق وكأننا لم نفترق... حتى حين نمرض كنا نمرض معًا وبنفس المرض وإن باعدت بيننا المسافات...

... كانت حياتنا مستقرة وسعيدة في مجملها الحمد لله... ولم أكن أتوقع أن يأتي اليوم الذي تنقلب فيه حياتي رأسًا على عقب وتحيط بي الهموم من كل جانب حتى كان ذلك اليوم...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الثانية

... دخل عليَّ أخي حسين وقد امتقع وجهه... بما يشير إلى أنه يحمل الكثير من الهم والحزن... ووجدته يقول لي أنه يريد أن يفصح لي بأشياء قد تؤلمني.. ولولا أنه أخي العزيز والذي يهمه بالقطع مصلحتي لما فكر في مصارحتي بها... شعرت بالقلق لأنني أول مرة أراه بهذه الصورة المختلفة عن طبيعته التي ألفته عليها...

- ما هي المشكلة يا حسين...؟...
- لا أستطيع الصمت أكثر من هذا وأنا أرى كل من حولك يخدعوك.
- يخدعونني.. كيف...؟...
- تذكر أنك كنت أحيانًا تطلب مني متابعة أحوال أبنائك كما كنا نفعل بالتبادل عند انشغال أحدنا...
- نعم... وماذا في ذلك؟...!...
- هذا للأسف أتاح لي أن أكتشف حقائق مؤلمة قد حاولت كثيرًا إخفاءها عنك...
- حقائق حاولت إخفاءها؟... ما هي؟...

obeikandl.com

- لا أعرف من أين أبدأ؟... ولكنني رأيت ابنتك عالية تخرج من المدرسة بصورة متكررة مع أحد الأشخاص... ويبدو أن لها علاقة به... ولقد علمت أن هذا الشخص صديق لأخيها...

- عالية تفعل ذلك...

- نعم، هذا ما اكتشفته... ليس هذا فحسب... فلقد اكتشفت أيضًا أن ابنك أكرم يدخل بيتي بمفتاح الشقة الذي أعطيته إليه ويذهب في غيبتي ليستولى على أشياء خاصة بي مستغلاً ثقتي به...

- لا أصدق أن أكرم يفعل هذا...

- ولكن هذا ما حدث وأنا أؤكد لك...

حتى والدتنا التي تربينا على يديها اكتشفت أخيرًا أنها ليست والدتنا الحقيقية... وعرفت أنها قد أخفت عنا هذا لكي تحتفظ بحبنا وارتباطنا بها...

أما زوجتك فللأسف أنا أشك أنها تخونك وإن لم تصدق فلتسألها لماذا يذهب سائقك الخاص لمنزلك في غيابك...

والشيء المفزع وربما كان هذا هو السبب الحقيقي لإفصاحي لك بكل هذه الحقائق هو خوفي الشديد عليك...

- خوفك عليَّ من ماذا؟... وماذا بعد هذه الأخبار المذهلة؟... والأسرار المفجعة... هل هناك شيء أخطر من هذا؟...

- الحقيقة.. نعم... فلقد علمت من طبيبك المعالج والذي أجرى لك عملية القسطرة القلبية أن سبب تفاقم الحالة هو تعرضك لمادة تسبب ضيقًا وتقلصات بالشرايين التاجية وهذه المادة ربما تكون قد تعرضت لها بصورة متكررة عن طريق الطعام أو الشراب...

... كان لكلمات أخي وقع الصاعقة عليَّ... كان شيء أغرب من الخيال... ولولا أنني أعلم أن أخي التوأم لم يكذب عليَّ قط لما صدقت أن هذا من الممكن أن يحدث... هل كنت مخدوعًا إلى هذا الحد؟!... هل عشت مخدوعًا من الجميع؟!... من كل من حولي وأقرب الناس إليَّ... شعرت بحالة من الدوخة والغثيان للحظات... ويبدو أن أخي حسين شعر بما شعرت به... وما يجول بخاطري من صعوبة تصديق كل هذا... وخاصة عندما تكون الصدمة فجائية... كنت لازلت في مرحلة النقاهة لحالة الأزمة القلبية التي أصابتني... ووجدته يجيب كأنه يقرأ أفكاري... بالطبع أعلم صعوبة تصديق كل

هذا ولكنني سأثبت لك ما أقول حتى لا أترك في قلبك أي مجال للشك... سأذهب معك الآن... وسنبدأ بوالدتنا... كل ما أطلبه منك أن تسألها عن صورنا ونحن صغار حديثي الولادة معها أو مع والدنا... وسترى رد فعلها... ولكن قبل أن نتحرك وجدته يمد يده إليَّ بخطاب مغلق... ويطلب مني ألا أفتحه إلا إذا شعرت أنه بخطر...

... توجهت مع حسين إلى منزل والدتنا... وعنده طلب مني الصعود إليها بمفردي... وبالفعل صعدت لوالدتي وطرقت الباب... فتحت لي فدخلت كان يبدو عليها شيء من الارتباك والتأثر... وعندما سألتها عن صوري أنا وحسين ونحن صغار... بدا عليها الارتباك أكثر ووجدتها تقول لي لماذا؟... نظرت في عينيها فلمحت عبرة تأثر... قلت لها: لماذا تخفين عني الحقيقة؟... قالت لي: وكيف عرفت؟... من قال لك؟... وأجهشت بالبكاء... قلت لها: ولماذا أخفيتي هذا عني؟... قالت لي: كنت أخشى عليك وأخشى أن أفقدك... تركتها بعدما تأكدت من حقيقة ما أخبرني به حسين...

نزلت مسرعًا حيث كان حسين بانتظاري... وعاجلني بالسؤال: هل تأكدت مما قلته لك؟... وبدون أن أجيب... وبنظرة منه فهم ما حدث... قال لي: فلنذهب الآن لابنتك عالية في المدرسة... تحركنا

معًا في اتجاه المدرسة... كان يتحرك بخفة ويسبقني بخطوة... فلازلت في مرحلة النقاهة من الوعكة التي ألمت بي... وخاصة بعدما أوصاني الطبيب بالحرص في عمل المجهود ... كان الجو مشمسًا ولكنه معتدل فنحن في أيام الشتاء الدافئ الصحو... لاحظت ملاحظة غريبة ولكنني لم أطل التركيز فيها مع انفعالي واندفاعي لمعرفة حقيقة ما يحدث...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الثالثة

كنا نسكن بمنطقة سموحة وكانت المدرسة الثانوية التي تدرس فيها ابنتي في نفس المنطقة... فوصلنا إليها في خلال دقائق قليلة سيرًا على الأقدام... ووقفنا عن بعد نراقب باب المدرسة... ولم ننتظر كثيرًا حتى رأيت ابنتي عالية تخرج من المدرسة يرافقها أحد الشباب ويتحركون بسرعة وهم يلتفتان حولهما كلص يخشى ملاحقته... ولمحته من بعيد واكتشفت أنني أعرف هذا الشاب... إنه عبد الرحمن زميل ابني أكرم في كلية الهندسة... ومن أكثر زملائه تقربًا منه... ولكن كيف كنا غافلين هكذا؟!... يبدو أن أخي حسين كان محقًا فيما قاله لي... المهم أننا حاولنا الإسراع للحاق بهما ولكن فارق السن والعزيمة لم يسعفانا...

... وجدته يقول لي: ما رأيك؟... تعال الآن لكي ترى ابنك أكرم وماذا يفعل؟... كان حسين يسكن في شارع متفرع من ميدان المنشية في وسط البلد فركبنا السيارة لكي نصل إلى محل سكنه... وكالعادة كان الطريق مزدحمًا والمرور متوقفًا فاستغرقنا وقتًا طويلاً للوصول إلى بيته... ومرة أخرى وقفنا ننتظر ونراقب... وبعد قليل رأينا أكرم يدخل المنزل ويغيب حوالي ربع الساعة ثم يخرج متسللاً حاملاً شنطة كبيرة وهو ينظر يمينًا ويسارًا ثم يستقل

تاكسيًا وينطلق مبتعدًا... نظرت إلى حسين فوجدته ينظر إليَّ... والتقت عيناه بعيني بنظرة ذات معنى... وكأنه يقول لي: أرأيت؟... هل تأكدت مما قلته لك؟... سألته مستفسرًا: ولكن أين زوجتك سهام؟... قال: سهام مسافرة عند عائلتها بالقاهرة... قلت في بالي: للأسف يبدو أن كل ما قاله حسين لي حقيقي...

لم يبق سوى التحقق من خيانة زوجتي وبالفعل انطلقنا إلى منزلي ووقفنا على بعد نراقب الأمر... وبعد فترة رأينا ماجد سائقي الخاص يتسلل داخلاً إلى منزلي... كيف هذا وقد اعتذر اليوم عن الحضور متعللاً بظروف عائلية خاصة؟!... إلى هذه الدرجة كنت مخدوعًا... لقد أصبح الأمر يمس شرفي وكرامتي...

نظرت إلى الأرض وأنا أسير سارحًا غير مصدق لما اكتشفته من حقائق محزنة وهو يسير بجواري دون أن نتحدث وأخذت أفكر كيف يمكنني الانتقام ممن خانني؟...

... ولم يقطع صمتنا سوى صوت آذان العصر ونحن نسمعه من مئذنة أحد المساجد القريبة... تذكرت أن هناك من لا يغفل ولا ينام... وقادتني قدماي في اتجاه المسجد... طلبت من حسين أن ندخل لنصلي... ولكنه اعتذر وقال لي: أنه قد صلى العصر جمعًا وقصرًا؛ لأنه سيسافر لزوجته بالقاهرة بعد ساعة... وقال أنه

سينتظرني بالخارج... دخلت المسجد لأصلي... وأنا أدعو الله أن يمنحني القدرة على الاحتمال... خرجت من المسجد بعدما أنهيت الصلاة راجيًا الله أن يتقبل مني... ولكن... كانت في انتظاري مفاجأة كبيرة...!!!

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الرابعة

كانت المفاجأة التي اكتشفتها عندما خرجت من المسجد.. هي اختفاء أخي حسين.. بحثت عنه ولم أجده.. رغم أنه أكد لي أنه سينتظرني... حاولت أن أتصل به على تليفونه المحمول ولكنه لم يرد... انتظرت أكثر من ثلث الساعة ولكنه لم يظهر ولم يتصل... ربما سافر لزوجته... وبعد فترة لم أجد بدًا من العودة إلى المنزل...

... عدت إلى المنزل وأنا أشعر باليأس والإحباط... بل الصدمة لما علمته من أخبار وما مر بي من أحداث... وجدت زوجتي وابنتي بالمنزل... كانتا تجلسان سويًا في غرفة المعيشة... كانتا صامتتين... أو ربما صمتا عندما دخلت عليهما المنزل... جلست أمام ابنتي أنظر إليها وهي تحاول أن تهرب من نظراتي ثم فاجأتها بالسؤال... أين كنت اليوم؟... كنت في المدرسة طبعًا يا بابا... ألم تغادري المدرسة لأي سبب من الأسباب؟... نظرت إلى والدتها قبل أن تجيبني قائلة: لا أبدًا... ضغطت على أسناني... ولم أسترسل في الحديث... وبعد قليل دخل أكرم... كان يبدو عليه الإرهاق وقد تعفر وجهه... ألقى السلام علينا ودخل سريعًا إلى غرفته... انتظرت دقائق قليلة ثم تبعته لغرفته... فتحت الغرفة ففوجئت به وكأنه يخفي شيئًا تحت الفراش... سألته: أين كنت

اليوم؟... كنت بالكلية... طول اليوم... نعم... ألم ترَ عمك حسين أو تذهب إليه في منزله؟... تردد قليلاً ثم أجاب: لا أبدًا... نظرت إليه بتشكك... ثم تركته وخرجت...

دخلت غرفة مكتبي... فضلت أن أكون وحدي لكي أفكر بعمق فيما أفعل... كنت بطبيعة عملي بإحدى الجهات السيادية الحساسة أفكر كثيرًا ولا أحب الاندفاع في اتخاذ القرارات... استدعتني زوجتي لتناول العشاء معهم ولكنني رفضت رغم إلحاحها... كنت فاقد الشهية تمامًا... وفي نفس الوقت لم أنسَ ما ذكره لي حسين عما قاله الطبيب... وهنا توقفت قليلاً... فقد تذكرت أنني كنت قد قمت بالتأمين على حياتي منذ حوالي عامين بمبلغ كبير... ولكن لم يعلم بهذا سوى زوجتي وأخي... هل يمكن أن يكون هذا وراء محاولة إيذائي؟... لا أدري...

حاولت الاتصال بحسين أكثر من مرة دون جدوى... كنت أسمع رنين التليفون (الرينج باك) دون رد... ثم انفصل التليفون تمامًا... حاولت الاتصال بزوجته فلم ترد... عندها أحسست أن حسين أخي في خطر... وتذكرت الخطاب الذي سلمه لي... نعم ها هو... لازلت أحتفظ به في جيبي...

... فتحت المظروف وأنا أشعر بالتوتر... ماذا يمكن أن يكون؟... أمسكت الرسالة بيدي وبدأت أقرأ... وكان محتواه كالتالي:

... أخي العزيز علي...

أعلم أنني ربما أكون قد تسببت لك في الكثير من القلق والألم لما بحت به إليك من أسرار ولكنني كنت أشعر أن هذا كان واجبي نحو أخي وتوأمي وأعز إنسان لدي... عندما تقرأ هذا الخطاب فاعلم أنني في خطر شديد... وأنا هنا أعترف لك اعترافًا قد يكون صادمًا لك فقد أخطأت أنا أيضًا خطأ جسيمًا... لا أدري إن كنت ستغفره لي... فقد استغليت الشبه المتطابق بيننا... ودخلت مكتبك في العمل واستوليت على أحد الملفات السرية الهامة... وسلمتها إلى جهة معادية... ويعلم الله أنني لم أكن أطمع في مكسب أو مال... ولكنني تعرضت لضغوط وتهديدات كثيرة كانت هي السبب في استسلامي وتقديم هذا الملف لهم ظنًا مني أن ينتهي الأمر عند هذا ولكنهم الآن يطلبون مني أشياء أخرى لا أستطيع تلبيتها لهم؛ لذلك فإنني تلقيت تهديدات كثيرة بالخطف والقتل... لا أدري إن كنت ستستطيع إنقاذي من كل هذا... ولكن حتى إن كانت هذه نهايتي فإنني أعتبره تكفيرًا وثمنًا لخطئي الشديد...

مرة أخرى أعتذر لك اعتذارًا خالصًا راجيًا الله أن يغفر لي...

وإلى اللقاء إن كتب لي النجاة من هذه المحنة الكبيرة...

... أو الوداع إن كانت هذه هي نهايتي...

... أخوك حسين...

حتى أنت يا أخي... طويت الخطاب ووضعته في درج مكتبي... وأخذت أفكر بسرعة... لابد من إخطار الشرطة فورًا... ولكنني إن أظهرت هذا الخطاب فقد أتسبب لأخي في مساءلة واتهامات خطيرة... إذًا فمن الأفضل إخفاء أمر هذ الخطاب ولو مؤقتًا...

●●●

obeikandl.com

الحلقة الخامسة

... كان الموقف يزداد حرجًا وخطورة... مما تطلب التحرك بسرعة وبصفة عاجلة... لم يعد الأمر مجرد انحراف بعض أفراد الأسرة ولكنه تجاوز هذا إلى أحداث تهدد حياة أقرب الناس إليَّ... ولأنني كنت قد فقدت الثقة تمامًا بكل من حولي فقد كان يتحتم عليَّ التحرك منفردًا...

... وبالفعل انطلقت خارجًا كالسهم حتى وصلت لأقرب قسم شرطة... وهناك طلبت مقابلة الضابط النوباتجي... وعندما دخلت عليه بدأت أشرح له قصة اختفاء أخي.. دون أن أذكر له أية تفاصيل عن هذا الخطاب... ورغم أن بلاغات الاختفاء لا يحرر لها محضر إلا بعد مرور أكثر من ٢٤ ساعة على الاختفاء.. إلا أن الضابط قد تعاطف وتجاوب معي ووعدني بالبدء في إجراء التحريات اللازمة عن الحالة... ولكنه سألني في المحضر هذا السؤال التقليدي: هل هناك أي أعداء أو تهديدات لأخيك؟.. فأجبت بالنفي، فأنا لا أريد أن أقحم أخي في قضية كبيرة كما أنني وإلى الآن لا أدري أي جهة بالضبط تهدده...

... خرجت من قسم الشرطة بعدما وعدني الضابط بعمل اللازم... كنت أفكر في الخطوة القادمة... أولاً: كان يجب عليَّ أن أعرف أي ملف هام قد اختفى أو سرق وذلك لاتخاذ الإجراء الأمني المناسب... كان الحل هو الذهاب إلى مكتبي لمراجعة الملفات... ولكن كان الوقت متأخرًا... وإن ذهبت الآن فسأثير العديد من الشبهات... فلأنتظر أفضل للصباح...

... كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل عندما عدت إلى منزلي... ولا أدري كيف سأنتظر للصباح وأنا لا أدري ماذا حدث لأخي؟... أين هو الآن؟... وكيف حاله؟... هل حدث له مكروه؟... وتوالت الأفكار السوداء على خاطري... حاولت مرة أخيرة الاتصال بحسين ولكن تليفونه أصبح مغلقًا... ولكنني تذكرت شيئًا... عاطف رزق.. إنه أحد أصدقائي الذي يشغل مركزًا كبيرًا في شركة التليفون المحمول... كيف نسيت هذا؟... لم يكن الوقت مناسبًا... ولكنني كنت أدرك أن كل لحظة ممكن أن يكون لها ثمن غالي... اتصلت به راجيًا أن يجيبني سريعًا والحمد لله لم يخب ظني وهو يجيب عليَّ... اعتذرت له عن الاتصال في هذا الوقت الغير مناسب ولكنني اضطررت لهذا لهذه الظلروف... شرحت له الظروف بسرعة وطلبت منه إمكانية معرفة مكان حسين بتتبع تليفونه المحمول... رد عليَّ بأن الموضوع قد يستغرق بعض الوقت ولكنه سيحاول جاهدًا ويبلغني فور الوصول إلى نتيجة...

لم يعد بإمكاني عمل أي شيء على الأقل حتى الصباح... جلست على الفوتيه وقد جافاني النوم بطبيعة الحال... وأنا أفكر فيما مر بي من أحداث... وبعد فترة غالبني النوم... كان نومًا قلقًا متقطعًا... وبين اليقظة والمنام رأيت أخي يناديني ويستنجد بي وهو محبوس في غرفة مغلقة... قمت منزعجًا وجدت نفسي لازلت مرتديًا ملابسي... نظرت في ساعتي... كانت تقترب من السابعة صباحًا... قمت منتفضًا... دخلت الحمام... اغتسلت... ثم استبدلت ملابسي ونزلت متجهًا إلى مكتبي... دخلت المكتب... فتحت دولاب الملفات وبدأت أراجع الملفات واحدًا واحدًا... ساعدني في هذا أنني كنت أضعها بترتيب واضح... حتى إذا ما انتهيت اكتشفت أن الملفات كاملة لا ينقصها شيء... هذا شيء غريب... هل ممكن أن يكون قد تم تصوير الملف مثلاً وإعادته... ولكنني تذكرت شيئًا... أن الموضوع ليس بهذه البساطة... فإن الدخول إلى المكتب يتم بالبصمة... ويصعب دخول أي شخص غريب حتى لو كنت أنا شخصيًا بدون هذه البصمة...

... كنت أفكر سارحًا عندما دق جرس التليفون... كان الأستاذ عاطف... اتصل ليخبرني بنتيجة متابعة تليفون حسين المحمول... كانت النتيجة غريبة حيث أكد لي أن التليفون لم يتحرك من محيط محل سكن حسين لمدة يومين ولم تجرِ أي مكالمة به منذ ذلك الحين...

obeikandl.com

الحلقة السادسة

... بدأت أشعر أن هناك أشياء غريبة وغامضة... لم يحدث من قبل أن كذب عليَّ أخي حسين... كما أن اختفاءه بهذا الأسلوب كان مريبًا... خرجت من المكتب وقد تذكرت شيئًا هامًا آخر لابد من التحقق منه... اتجهت إلى مستشفى مصطفى كامل لمقابلة الدكتور شريف المسيري طبيبي المعالج والذي أجرى لي عملية القسطرة القلبية من قبل... كان مشغولاً بإجراء عملية قسطرة لأحد المرضى ولكنني انتظرته حتى أنهى عمله وقابلني... سألته... كنت أريد أن أعرف تفاصيل حديثه مع حسين... وعن طبيعة هذه المادة التي تعرضت إليها والتي تسببت في إصابتي بهذه الأزمة الصحية...

... كان رد الدكتور شريف مفاجئًا لي حيث أنكر تمامًا ما قاله حسين... وأكد أن كل ما أبلغه به أنه بعد إجراء التحاليل اكتشف أنني مصاب بارتفاع نسبة الكوليسترول مع وجود ارتفاع أيضًا في مادة تسمى الهوموسيستيين وهي مادة قد تتسبب في تكرار حدوث التجلطات بالدم... وقد نصحه بضرورة عمل هذه التحاليل هو أيضًا لاحتمال تداخل العامل الوراثي لكوننا أخين شقيقين وتوأم في نفس الوقت... ولكنه طلب تأجيل عمل هذه الأبحاث حتى الاطمئنان عليَّ أنا أولاً...

... خرجت من المستشفى وقد ازدادت حيرتي وتساؤلاتي... لماذا كذب عليَّ حسين؟؟؟... وكيف ولماذا اختفى بهذه الصورة الغامضة؟!!!...

... عدت إلى منزلي وأنا في حالة قلق وحيرة بالغين... وما إن دخلت المنزل حتى وجدت جميع أفراد الأسرة مجتمعين في غرفة المعيشة... حتى والدتي أو من كنت أظنها والدتي الحقيقية كانت معهم... وبمجرد دخولي صمتوا عن الحديث... وهنا وجدتها فرصة لمواجهتهم جميعًا بما اكتشفته عنهم وبما صرح به أخي حسين...

وبالفعل واجهت عالية وأكرم بما عرفته حتى وصلت لمواجهة الوالدة بما اكتشفه حسين... وعند هذا الحد علا صوت والدتي منكرة كل هذا وهي تقول:

– ما هذا الهراء؟ هذا الكلام غير واقعي وغير حقيقي... من الذي قال لك هذا؟

– قال لي هذا أخي حسين وقد رأيت ذلك بنفسي...

علا صوت والدتي أكثر وبدأت عيناها تدمعان وهي تصرخ:

١. حسين أخوك قد مات...

علا صوتي أنا أيضًا وأنا أقول:

٢. مات... مات... لا... لقد قتل... لقد قتل...

٣. لا يا علي... لم يقتل لقد مات موتة طبيعية إثر أزمة قلبية حادة...

٤. كيف هذا؟ لا أصدق لقد كان معي بالأمس!!!

٥. بالأمس؟؟؟ لا يمكن... بالأمس... لا... حسين قد توفي منذ يومين...

عندها شعرت بالانهيار التام... ولم تحتملني قدماي فسقطت على أقرب كرسي وأنا أضع وجهي فوق كفي لأداري دموعي التي بدأت تنهمر بغزارة رغمًا عني...

اقتربت مني والدتي... احتضنتني وهي تربت على كتفي... وتقول... لقد أخفينا عنك الخبر مؤقتًا... كنت أخشى عليك... كنت أخشى ألا تحتمل هذا الموقف... عالية ابنتك لم تخطئ... لقد أرسلنا إليها عبد الرحمن زميل أكرم لإبلاغها بخبر وفاة عمها وذلك نظرًا لانشغال أكرم في مراسم الدفن... أما أكرم فقد ذهب إلى منزل عمه لإحضار حقيبة كان حسين قد أوصى بتسليمها لك

obeikandl.com

حال وفاته... ربما نكون قد أخطأنا لإخفائنا الحقيقة عنك... ولكننا فعلنا هذا خشية عليك...

... وبعد قليل بدأت أستجمع قواي... وطلبت منهم أن أزور أخي... قمت خارجًا... وأصروا جميعًا على مرافقتي... إلى منطقة العمود حيث مدافن الأسرة... قرأت الفاتحة على روحه ودعوت له أن يتغمده في رحمته...

... ولكن... ولكن... ولكنني بدأت أتساءل في نفسي... إذن من كان معي بالأمس؟؟؟... من حضر إليَّ!!! لقد كان هو حسين... لا يمكن أن أخطئ فيه... صحيح كان غريبًا أن يعرف تحركات أبنائي بهذه الصورة... و... ولكن... لقد تذكرت شيئًا هامًا كيف غفلت عن هذا؟... إنها الملاحظة الغريبة التي لاحظتها... لقد كان حسين يتحرك معي بخفة غريبة عليه... كان يسير أمامي... ورغم أن الشمس كانت ساطعة إلا أنه وللغرابة لم يكن له ظل على الأرض!!!!!..

... وتذكرت الخطاب الذي تركه لي... أنا أعرف خط أخي وأستطيع تمييزه... أين تركته؟... نعم، إنه لازال في درج مكتبي... فتحته لأعيد قراءته... وأدهشني ما رأيت... فقد كانت الورقة بيضاء وخالية تمامًا من أي كتابات أو أي أثر!!!...

الحلقة السابعة

... بدأ هذا الموضوع يشغلني... إنه شيء غير عادي... وليس من طبعي الاستسلام دون محاولة إيجاد تفسير لكل شيء... فكرت وتساءلت.. من ممكن أن يعينني في فك طلاسم هذا اللغز الغريب؟!... فتذكرت الشيخ عبد العال الشافعي... كان إمام المسجد القريب... وكان رجلاً فاضلاً وشيخًا جليلاً من شيوخ الأزهر الشريف... ذهبت إليه بعد صلاة العشاء... وبدأت أحكي له الأحداث بالتفصيل... وكيف حضر لي أخي بكامل هيئته وكيف حكى لي هذه الأخبار المغلوطة... ثم اختفى بطريقة غامضة... واكتشفت فيما بعد أنه توفي في اليوم السابق لهذا... وسألته هل يمكن أن تكون هذه هي روح أخي... قال لي: هذا شيء غريب ولكن الروح شفافة ولا تكذب... ولكن ربما يكون هذا هو قرين أخيك... وهو نوع من الجان... وقد ظهر لك بعد اختفاء أخيك... بدليل أنه رفض الدخول معك للصلاة بالمسجد... وقد حاول استغلال حبك لأخيك وحاول خداعك بهذه الأخبار لتضليلك وتعكير صفائك مع أسرتك... والله أعلم...

... هل هذا هو التفسير؟... ربما... ولكن سواء كان من رأيت هي روح أخي أو قرينه... فقد كانت هذه هي المرة الأخيرة التي

أرى فيها حسين أخي التوأم... وبالرغم من أنني في البداية قد شعرت بالغضب لإخفاء أسرتي عني خبر وفاة أخي في حينها... إلا أنني قد حمدت الله كثيرًا لأنني لم أحضر هذا الموقف الأليم... وأرى جسد أخي.. بل جسدي أنا.. وقد فارقته الحياة... فكما عشت حياة سعيدة في وجود أخي التوأم مرتين... اكتشفت أنني قد أموت أيضًا... مرتين...

عدت إلى منزلي... وكنت شغوفًا لمعرفة ما تحتويه الحقيبة التي تركها لي أخي بعد وفاته... والتي كان أكرم قد أخفاها مؤقتًا تحت فراشه... فتحتها متلهفًا... وكانت مفاجأة لي أن وجدت أشياء كانت تخصنا... بعض الصور القديمة لنا في المناسبات المختلفة... بعض ملابسنا القديمة والتي كنا نتبادل ارتدائها ونحن صغار... بعض الجوائز الرمزية التي كنا نفوز بها في المسابقات... بعض المجلات والكتب القديمة التي كنا نعشق قراءتها... ميكي.. سوبرمان.. تانتان.. المغامرون الخمسة... وهذه ألبومات حفظ الطوابع النادرة عندما كانت من هواياتنا المفضلة... جزء من سنارة الصيد التي كنا نستعملها في رحلات صيدنا ونحن شباب... طائرة ورقية كنا نستمتع بطيرانها من فوق سطوح منزلنا القديم بمنطقة بحري... صورة أول حب له في حياته وهو في المرحلة الثانوية...

... كانت الحقيبة حافلة برموز وذكريات أيام سعيدة عشناها معًا... كانت تلخص حياتنا خطوة بخطوة... احتضنت الحقيبة التي تحمل ذكرياتي مع أخي... بعدما لم يبق لي منه سوى الذكريات... حتى اللقاء.....

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

المرآة والنافذة

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الأولى

كان اليوم هو يوم عيد ميلاده الواحد والعشرين... وقد اتفق مع أصدقائه على الاحتفال بهذه المناسبة سويًا... وكان الاتفاق على السفر لإحدى القرى السياحية بالساحل الشمالي... استيقظ مبكرًا وهو لا يدري ما يحمله له اليوم من أحداث... وبمجرد تجمع الأصدقاء.. انطلقت السيارة تحمل الأصدقاء الأربعة كريم وتامر ومازن ويوسف... حتى إذا ما وصلت إلى الطريق الصحراوي.. بدأت في التهام الطريق... كانوا في سن الشباب... سن الأمل والانطلاق... إنهم يشعرون أنهم يمتلكون كل شيء... يستطيعون التحكم بكل شيء... وهم دائمًا بمنأى عن أي خطر...

كانوا يسيرون بسرعة تسابق الريح... يسمعون الأغاني الشبابية... ويرددونها بصوت عال... وكأنهم قد مسهم شيء من الجنون... وفي لحظة ما... ودون أي تفسير.. اختلت عجلة القيادة وانحرفت السيارة عن مسارها... حاول قائدها تعديل وضعها ولكنها وبسبب السرعة الزائدة انحرفت للجانب الآخر... وأصبح الجانب الأيمن فوق تل من الرمال بجانب الطريق فانقلبت بشدة عدة مرات... بعدها... انتهى كل شيء...

..... لا يدري كم مضى من الوقت... وهو يرى كل ما حوله ظلامًا دامسًا.. بل فراغًا رهيبًا... لقد فارق الحياة وهو الآن في القبر... كان هذا إحساسه للوهلة الأولى... أغمض عينيه هربًا من مصيره... ولكن كيف الهروب بعد أن يحل الأجل... كان يخشى أن يفتح عينيه ليرى الظلام فيكون هو بداخل الظلام بدلاً من أن يشعر به... ولكن... فجأة... سمع صوتًا بجانبه... هذا الصوت يعرفه... إنه صوت والدته... يأتي من مكان بعيد أو من بئر عميق... كانت تقول... إنه يتحرك... فتح عينيه ببطء خشية أن يرى الظلام مرة أخرى... ولكن هذه المرة كان الوضع مختلفًا... إنه في مكان يغلب عليه اللون الأبيض وبه ضوء مبهر... ولكنه لازال وحده... وتساءل في نفسه هل انتقل من القبر إلى مكان آخر؟... ورويدًا رويدًا بدأت الرؤية تتضح... وبدأت عينيه تألف الضوء... إنه ينام فوق السرير... في حجرة متوسطة الحجم... مطلية باللون الأبيض... عن يمينه دولاب ملابس وعن يساره مرآة كبيرة... نظر إلى أطرافه إنه لازال يتحرك... وبصعوبة حاول مغادرة الفراش... كل ما كان يشغله أن يرى نفسه ويعرف ماذا حدث له... وبالفعل وبصعوبة تحرك في اتجاه المرآة حتى وقف أمامها... إنه سليم... ولكن... ولكنه... ما هذا؟... هذا شيء غريب... إنه ليس هو... ومن هذا الذي يرى صورته في المرآة!!! إنه والده!!! لم يكن قد رآه منذ

زمن طويل... فقد تركه وفارق الحياة وهو لازال طفلاً صغيرًا... كيف أصبحت صورته هي صورة والده... ومرة أخرى فقد اتزانه وخارت قواه ولم يعد يشعر بأي شيء...

مر بعض الوقت... حتى بدأ يستعيد وعيه كان كمن يحلم حلمًا غريبًا متقطعًا... ولكن هذه المرة لم يكن وحده... فها هي والدته تجلس بجواره... وقد شحب وجهها خوفًا وهلعًا... وشعر أنها قد تجاوزت عمرها بعشرات السنين... ابتسمت حينما رأته يتحرك ويفتح عينيه... وعلم منها أنه في المستشفى بعد إصابته بارتجاج في المخ نتيجة حادث السيارة... وبعد قليل... دخل الطبيب... وأخذ يفحص علاماته الحيوية... ويقول لوالدته... حالته أفضل وجميع الفحوص لم تظهر أية إصابة خطيرة الحمد لله... ويمكنه الخروج من المستشفى...

تحرك متثاقلاً بمساعدة والدته حتى خرج من الغرفة وبالتالي من المستشفى.. بعد إجراءات الخروج الروتينية... وصل إلى المنزل وهو لا زال يشعر بالإعياء الشديد.. فدخل حجرته واستلقى على فراشه وراح في سبات عميق... وبين اليقظة والمنام... تذكر وجه والده الذي رآه في المرآة... وبدأ هذا الخاطر يشاغله ويخرجه من عميق نومه... ووراء إلحاح خاطره قام من نومه واتجه إلى مرآة

الحمام... أضاء النور... ووقف أمام المرآة... لم يرَ صورة والده... بل لم يرَ أي شيء بالمرة... لم يرَ أي شيء وكأنه ينظر في الفراغ!!!!!

●●●

obeikandl.com

الحلقة الثانية

... كان يومًا هادئًا على غير العادة وأنا أجلس في غرفتي بالعيادة... لا أدري ما سر هذا الهدوء رغم أنني عندما أسير في الشارع أرى الجميع يحتاجون طبيبًا نفسيًا... والحقيقة أنني لم أندم على اختيار هذا التخصص... كنت أحب دائمًا أن أتعمق في دراسة النفوس وخباياها... لم يكن الطب النفسي بالنسبة إليَّ مجرد وظيفة ولكنه أيضًا حبًا وهواية... منذ كنت أشاهد الأفلام القديمة... المنزل رقم ١٣... والليلة الأخيرة... وبئر الحرمان... وغيرها...

... طرقت الممرضة باب مكتبي وأخرجتني من الاسترسال في خيالاتي... يا دكتور... هناك سيدة تقول أنها تريد مقابلتك لأمر هام... اعتدلت على الكرسي... وقلت لها: لا بأس فلتسمحي لها بالدخول...

كانت امرأة تبدو في منتصف الأربعينات... هادئة الجمال... لم يكن بطبعي التركيز كثيرًا في وجوه السيدات.. ولكنني كنت أرى أن النظر إلى وجه المريض يعكس لي أشياءً كثيرة... أعرف منه حالته النفسية والمزاجية... أعرف فيم يفكر؟... أعرف درجة

الألم... أعرف نظرات الرضى والارتياح.. أو السخط والقلق... ومن الوهلة الأولى شعرت أنها شخصية هادئة ومستقرة... ورغم هذا ومن نظراتها شعرت أن وراءها سرًا غريبًا...

تهيأت للاستماع لشكواها فبدأت الحديث بهدوء واهتمام... لا أدري يا دكتور إن كنت تستطيع مساعدتي في حل مشكلة ابني كريم... بل لا أدري إن كنت قد لجأت للتخصص المناسب... ابني لم يعد يرى نفسه... تعجبت بداية من الشكوى فأنا أعرف أن بعض الشباب بيكون شايف نفسه زيادة... أما ألا يرى نفسه؟؟؟ فهذا ما لم أسمع عنه من قبل... عفوًا سيدتي لا أفهم ماذا تقصدين؟... هل فقد البصر مثلاً؟... قالت: لا... هو يرى كل شيء بوضوح ولكنه لا يستطيع أن يرى نفسه في أي مرآة... ولقد عرضته على أطباء العيون وأكدوا أن بصره سليم مائة بالمائة... كما أنني قد عرضته على أطباء الأعصاب وأكدوا لي أنه لا يعاني من أية مشكلة عضوية...

هل ممكن أن أعرف أكثر عن كريم وما حدث له بالفعل؟

... هو.. كريم حسن مدكور... ابني الوحيد... يبلغ من العمر ٢١ عامًا... وقد توفي والده وهو لم يتجاوز سن الرابعة... ولقد كرست حياتي لتربيته وتلبية جميع طلباته واحتياجاته... لم أبخل

عليه بشيء ورفضت الارتباط بأي إنسان آخر بعد وفاة والده... ولكنه تعرض لحادث سيارة منذ حوالي شهر... والحمد لله لم تكن إصابته جسيمة... ولكن بعد هذا الحادث أصيب بحالة غريبة... حيث لم يعد يرى نفسه في أية مرآة... قلت لها: أعتقد أن الأمر غريب فعلاً ولكن هل يمكن أن أعرف بعض التفاصيل؟... ما هي علاقاته بالآخرين؟... كانت علاقاته عادية مع أصدقائه... هل كان له أية علاقات أو تجارب عاطفية؟... في الحقيقة هو لم يكن يبوح لي بالكثير من أسراره رغم أنني أمه وأقرب إنسانة إليه... هل كانت له هوايات معينة؟.. كان يحب الرحلات والصيد... ولكن أكثر ما كان يلفت نظري هو تعاطفه الشديد وتجاوبه مع الأطفال الصغار ... أعتقد أن هذه المعلومات لا تكفي و يجب أن أراه شخصيًا... فهل يمكن أخذ موعد آخر لكي أرى فيه كريم؟... أعتقد أن هذا أمر صعب يا دكتور؛ لأنه يرفض الذهاب إلى أي دكتور وأية عيادة... فهل ممكن أن تراه في زيارة بالمنزل؟...

فكرت قليلاً وقلت: لا بأس... قالت: وهل يمكن يا دكتور ألا تعلن أنك طبيب نفسي؟ وسأقدمك لكريم كصديق قديم لوالده حتى لا ينفر منك... مفهوم.. نعم أعرف هذا وهو طلب متكرر...

... وتم تحديد الموعد ثم تركتني وغادرت العيادة...

بعد انصراف السيدة أخذت أفكر في هذه الحالة الغريبة... وأخذت أراجع الأحداث للوصول إلى التشخيص المبدئي... هلاوس سمعية بصرية... اكتئاب نفسي... انفصام شخصي... الواقع... إن وصف الحالة لا ينطبق على أي تشخيص من أولئك... قمت إلى المكتبة وتناولت بعض الكتب والمراجع العلمية وأخذت أتصفح بها... ولكنني لم أصل إلى حل... لا بأس فلأنتظر حتى أقابل كريم...

●●●

obeikandl.com

الحلقة الثالثة

... وصلت متأخرًا قليلاً عن الموعد فالطريق كان مزدحمًا... والجو حار وخانق... كما أن سيارتي الـ ٢٨ قد اعتادت أن تقاسمني شرب الماء بانتظام... وخاصة في هذا الجو الحار... رغم أن الوقت ليس ذروة الصيف...

... بحثت عن العنوان حتى وجدته... كان المنزل في المعادي... ولكن عندما وصلت لم أجده منزلاً عاديًا.. كان فيلا كبيرة... تحيط بها الأشجار والزهور من كل جانب... اقتربت ودخلت من الباب فوجدت الحارس يقابلني ويقودني إلى داخل الفيلا... تركني بالصالون وانصرف... ورغم أنه من الصعب أنبهر بشيء.. إلا أنني لم أستطع أن أمنع نفسي من تأمل ما حولي من أثاث فخم ولفت نظري وجود الكثير من التحف... وبدأت أفكر كيف لشاب يعيش في هذا المستوى من البذخ ويصاب بحالة نفسية!... وجاءني الرد سريعًا... في صيغة سؤال... بل كيف يعيش شاب في هذا المستوى ويكون سويًا؟...

... إن المشكلة أننا عندما نعطي أبناءنا كل شيء وبسهولة.. فإننا نقتل بداخلهم أي طموح أو رغبة في الكفاح الذي هو في

الأساس سنة من سنن الحياة... فيعيشون كشخصيات باهتة ليس لها أي حماس أو هدف واضح... وإن بعض المصاعب تثير التحدي... كما أن النجاح قد يولد من رحم المعاناة...

... أخرجني من الاستغراق في الفكر صوت أقدام تطرق السلم الخشبي الذي يربط الدور الأرضي بالدور العلوي... نظرت فوجدت السيدة أمامي ترحب بي... كيف حال كريم؟... حالته كما هو يا دكتور... دائمًا صامت ودائمًا بمفرده في الحجرة... ألا يذهب إلى الكلية؟... لم يعد يذهب بانتظام وقد تعثر كثيرًا في الدراسة... ولازالت هذه الحالة الغريبة تلازمه...

... كان زوجي رحمه الله رجل أعمال كبير.. متيسر الحال وناجح في عمله... وقد ترك لابنه ولي.. إرثًا كبيرًا... وفر لنا عيشة مستقرة... ولكن كما ترى هذا المنزل الكبير أعيش فيه أنا وابني وحدنا... وقليلاً ما يسأل عنا أقاربنا... فقد أصبح كل منهم تشغله حياته الخاصة...

... تأخر كريم ولكنه ظهر أخيرًا بعدما أرسلت والدته الخادمة لكي تستعجله... كان شابًا طويلاً يافعًا ولكنه غير مهتم بمظهره كما هو واضح من إهماله تصفيف شعره وتقليم أظافره واختياره لملابسه... وبنظرتي الفاحصة لوجهه وجدت ملامحه بلا تعبير...

جلس وهو ينظر إليَّ نظرات متحفظة... وبدأت أكون صورة مبدئية عن طبيعة الحالة... هي غالبًا حالة اكتئاب نفسي ولكنها بصورة غير تقليدية... نظرت إلى الأم... وبإيماءة مني فهمت أنني أريد أن أجلس معه منفردًا... فاستأذنت بحجة أنها نسيت إجراء اتصال تليفوني هام... وبالفعل غادرت المكان وتركتني وحدي مع كريم...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الرابعة

... نظرت إليه فوجدت في عينيه نفس نظرات التحفظ مع الشك والريبة... وقبل أن أبدأ حديثي معه وجدته يقول لي: أنت لست من معارف بابا... بحلقت في وجهه ولم أرد... بل أنت طبيب.. أليس كذلك؟... نظرت إليه في دهشة... فلم أتوقع المفاجأة.. ولم أتوقع أنه يتمتع بهذا الذكاء.. رغم أنني أعرف أن المرضى المعرضون للاضطراب النفسي يتمتعون بدرجة عالية من الذكاء... لم أجد مبررًا للإنكار... نعم... أنا طبيب وقد جئت لأساعدك... إن وافقت سأحاول... وإن رفضت فهذا حقك وسأنصرف في الحال... نظر بالأرض وهو يقول: ولكن الكثيرين قد حاولوا من قبلك ولم ينجحوا... كل ما فعلوه أنهم وصفوا لي أدوية لم تزدني إلا سوءًا... قلت له: أحيانًا لا يكون الحل في الأدوية... وما الحل إذن؟... قلت له: أولاً حاول أن تنسى أنني طبيب... ثانيًا هل يمكن أن تحكي لي الأحداث بالتفصيل؟...

وبالفعل بدأ كريم يحكي لي ما حدث بالتفصيل منذ كانت الحادثة... وكيف رأى صورة والده في المرآة ثم اختفت... واختفت معها صورته هو نفسه.. سألته: وهل ترى بقية الأشياء والأشخاص؟... قال: نعم... قلت له: وهل يمكن أن نجرب الآن؟...

وقفت واصطحبته إلى المرآة الكبيرة التي قد لمحتها في المدخل... وقفنا سويًا أمام المرآة... وقلت له: ماذا ترى؟.. قال: أراك جيدًا.. ولكنني لا أرى نفسي... قال لي هذا رغم أنني أرى صورته في المرآة بوضوح!!!... يبدو أن الموضوع مختلف... هناك سر وراء هذا... إن الحالة ليست تقليدية...

عدنا للجلوس في الصالون وأنا لازلت أفكر... بدأت أحدثه عن نفسي وأنا أحاول أن أذيب الحاجز بيني وبينه كطبيب ومريض... وأخذت أحكي له ما واجهت من المصاعب في حياتي... وكيف كانت ظروفي في البداية صعبة حيث نشأت في أسرة متوسطة كنا أربعة أشقاء وكان والدنا موظفًا بالحكومة... لم يكن الطريق مفروشًا بالورود... ولكن بالجد والإصرار نجحت في الوصول لما أنا فيه الآن... نظرت إليه فوجدته متعجبًا لما أقول فهو لم يعتد على هذا النوع من المعاناة... المهم أنني شعرت ببعض التغير في نظرته إليَّ.. من الجفاء إلى بعض الليونة والتجاوب و... كنت قد تأخرت فاستأذنت في الانصراف... وقد اتفقت معه على الاتصال والتواصل معه مرة أخرى...

... عدت إلى منزلي... وبدأت أدون ملاحظاتي عن الحالة... كنت قد اعتدت على هذا عندما تواجهني حالة غير تقليدية...

حتى عندما انتهيت منها أغلقت مفكرتي... وأغلقت عيني استعدادًا للنوم... لم يأتني النوم بسهولة فقد كان الموضوع يشغلني... وفجأة تذكرت شيئًا وخطر على بالي خاطر... كلمة قد قالتها لي والدته عن تعاطفه مع الأطفال الصغار... وهذا أوحى إليَّ بشيء سأحاول تنفيذه باكرًا إن شاء الله...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة الخامسة

... استيقظت على مهل... ليس عندي أية مواعيد صباحية اليوم... وكنت قد قررت الاتصال بكريم لمحاولة تنفيذ هذه المحاولة...

والموضوع أنني تذكرت ملجأ الأيتام الذي كنت أذهب إليه لدراسة الحالات النفسية للأطفال الذين قد فقدوا ذويهم.. حينما كنت أجري الأبحاث الخاصة برسالة الدكتوراة.. وكان موضوعها (التأثير النفسي للطفل اليتيم وانعكاسه على نظرته للمجتمع)... ومنذ ذلك الحين وأنا على تواصل معهم بصفة متكررة... وأتردد على الدار بين الحين والحين... كان موعد الاحتفال السنوي بيوم اليتيم بعد أيام قليلة وكنت مدعواً للحضور... ووجدت أنها قد تكون فكرة جيدة للتواصل مع كريم...

... كما توقعت باءت كل محاولاتي بالفشل عندما حاولت الاتصال به على تليفونه المحمول... مما اضطرني للاتصال بوالدته... كيف حال كريم؟... كما هو يا دكتور... في غرفته لا يخرج منها... هل يمكنني الحديث معه؟... انتظر قليلاً يا دكتور... آلو كريم... أنا دكتور مصطفى... نعم... مصطفى شاكر... كيف أحوالك؟... هل تحب أن تحضر معي حفلة للأيتام؟..... لحظات

من الصمت..... أأأأأأ ..... أأأوكيههههه..... والحقيقة أنني وجدتها بداية مشجعة لمجرد قبوله دعوتي... فأنا أعرف صعوبة إخراج المريض النفسي من عزلته... ومجرد قبوله للعرض يعني لي أن هناك أمل...

بدأت أجهز ترتيباتي لهذا اليوم.. وكنت قد اتفقت مع كريم على المرور عليه واصطحابه قبل الموعد بفترة كافية... وفي الطريق اقترحت على كريم شراء بعض الهدايا للأطفال.. فرحب بالفكرة... ذهبنا إلى أحد محلات لعب الأطفال.. وتركته ينتقي ما يراه مناسبًا... وأنا أرقبه من بعيد.. وقد لفت نظري حماسه الواضح... حتى إذا ما انتهى توجهنا معًا إلى مقر الدار...

.. كان احتفالاً بسيطًا مع هؤلاء الصغار المحرومين... والذين سعدوا كثيرًا بفقرات الأطفال التقليدية... مثل الساحر والأراجوز والمسابقات الترفيهية.. ثم توزيع الحلويات والهدايا... نظرت إلى كريم فوجدته يبتسم لأول مرة منذ عرفته... والغريب أنه لم يكن ينظر إلى الفقرات.. بقدر ما كان ينظر إلى انطباع الأطفال والوجوه الباسمة... وقد سعد أكثر عندما قام بتوزيع الهدايا على الأطفال الصغار.. واستقبل انطباعهم بالسعادة والفرح... وفي نهاية الاحتفال تعمدت أن أعرف كريم على مدير الدار...

... في طريق العودة سألت كريم عن انطباعه العام والذي كان جيداً... لدرجة أنه سألني كيف يمكننا مساعدة هؤلاء؟... وقد وجدتها فرصة وعرضت عليه اقتراح المساهمة في تعليم هؤلاء الصغار... وكيف يمكن إسهامه بذلك في وقت فراغه؟... أعجبته الفكرة.. ووجدته يسألني عن طريقة التواصل مع مدير الدار... أعطيته أرقام التليفونات وتركته بعدما أوصلته منزله...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الحلقة السادسة

... انشغلت في عملي بعض الأيام... حتى كان هذا اليوم الذي استيقظت فيه ودخلت الحمام... نظرت بالمرآة.. رأيت صورتي... ولكنني لمحت خيال صورة كريم منعكسة على المرآة... عندها تذكرت موضوع كريم... اتصلت بوالدته لأعرف أخباره... فقالت لي أنها لا تعلم عنه شيئًا... ولكنه أصبح يخرج كثيرًا ويغيب فترة طويلة خارج المنزل... توقعت شيئًا ما... اتصلت بمدير دار الأيتام لأسأله إن كان كريم قد اتصل به... وأكد لي توقعي فقد اتصل به بالفعل... وعرض عليه المساعدة... بل إنه اتفق على عمل دروس تعليمية لتوجيه للأطفال وتنمية مهاراتهم...

... بعد يوم عمل طويل وشاق... كالمعتاد... عدت مساء ذلك اليوم إلى منزلي... أحضرت مفكرتي وبدأت أدون ملاحظاتي عن الحالة... إنها حالة غريبة وغير تقليدية... إنها قصة شاب كاد أن يفقد ذاته... تاهت منه... بحث عنها ولم يجدها... ففي لحظة ما.. لم يعد يرى نفسه بنظرة البصر المطلقة... وإنما أصبح يرى نفسه من خلال نافذة فتحت بينه وبين ضميره... تلك النافذة التي جعلته يرى نفسه بقيمة ما قدمت وليس بشكلها وملامحها... وكانت تلك اللحظة الفارقة التي اقترب فيها من الموت... اللحظة

التي رأى بها صورة الأب وأدرك معها أنه لا يمثل إلا امتدادًا لما قدمه والده... وأنه إن انتهى فلن يترك أي أثر يخلده بذاته... فأصابته هذه الحالة الغريبة... والتي تتشابه مع بعض حالات الهلاوس... تسمى الهلاوس البصرية السلبية... وهي حالة تجعلك لا ترى أشياءً حقيقية موجودة بالفعل... مع بعض الاختلاف... ففي حالة كريم كانت مشكلته أنه لا يرى نفسه فقط... لإحساسه النفسي بالعدم...

... كما لا يمكن إنكار أن طبيعة نشأته كطفل يتيم منذ الصغر... مع غياب القائد الموجه والقدوة.. والدعم النفسي الذي يمثله تواجد الأب في حياة الأبناء.. كل هذه العوامل أدت إلى استعداده للإصابة بهذه الحالة... وكان هذا سر تعاطفه الشديد مع الأطفال الأيتام... والذين شعر معهم بما يفتقدونه من أشياء لا يعادلها أي تعويض مادي مهما عظم... كان عنده كل شيء ويملك كل شيء... ولكنه افتقد أشياءً هامة... فقد إحساس الطموح والأمل... فقد الإحساس بقيمة نفسه... كان كل ما يحتاجه هو حافز يخرجه من هذا الشعور بالعدم... حتى يكون مؤثرًا فيمن حوله... أن تكون له بصمة واضحة في الحياة... فهل وجد ذاته؟؟؟

●●●

obeikandl.com

الحلقة السابعة

... وتمر الأيام والليالي.. الشهور والسنون... وما بين المتاهات والدوامات... وما بين المشاغل والمشاكل... اعتصرتني الحياة... وألهتني بصراعاتها... ومرت عليَّ خلالها العديد والعديد من الحالات العجيبة والغريبة... ورغم هذا لم أنسَ كريم وحالة كريم... ولكنني كنت أعلم أنه عند لحظة معينة.. كان يجب عليَّ أن أتركه كي لا يرتبط بي أكثر.. أو يعتمد عليَّ... وكي لا أذكره بمرضه وحالته.. وهو أمر حساس ودقيق... حتى كان ذلك اليوم.. الذي تذكرت به مشروعي... وهو مشروع المستشفى التكافلي... إنه مشروع قد يبدو خياليًا ... ولكن كثيرًا ما يكون الواقع وليد الخيال... وكانت الفكرة بسيطة جدًا... أن يساهم المرضى القادرون في علاج المرضى المحتاجين... إنه شيء هكذا يشبه مائدة الرحمن... ولكن ما كان يعيقني عن تنفيذ حلمي هو عدم استطاعتي تمويله بالكامل... مما جعلني أفكر في طلب قرض بنكي... وبالطبع وجدت صعوبة كبيرة لاستكمال الإجراءات الروتينية والبيروقراطية... وللأسف لم يكن لدي حل آخر... وتوجهت إلى البنك لاستكمال إجراءات الموافقة على منح القرض... وهو شيء ليس هينًا... لوجوب تقديم الكثير من الضمانات والتعهدات... وهناك قابلت الموظف

المختص... والذي أبلغني أخيرًا بالموافقة ولم يبق سوى توقيع السيد مدير البنك... استأذنني دقائق ثم عاد ليقدم لي الطلب بعد توقيع المدير... تسلمت الطلب منه... شاكرًا... وبحركة تلقائية نظرت متلهفًا إلى الطلب المذيل بتوقيع السيد المدير... وقرأت اسمه..... وكان..... كريم حسن مدكور..... طويت الطلب باسمًا... وقد أدركت الآن... والآن فقط... أنني أستطيع النظر... من... النافذة...

●●●

obeikandl.com

الخاتمة:

.. إنها قصة قد تبدو خيالية... فشخصيات أبطالها افتراضية... كما أن الأسماء المذكورة بها أسماء وهمية... وأنني في الأصل لست طبيبًا نفسيًا... ما الفارق؟... خيالاً كان... أم واقعًا... أنا لا أجد فارقًا كبيرًا بين هذا أو ذاك... فالخيال قد يصبح يومًا واقعًا... والواقع قد يكون أغرب من الخيال...

... ولكن يبقى الحلم... حلم أن يستبدل كل منا مرآته بهذه النافذة... نافذة الضمير... والتي تتيح له أن يرى نفسه... ليس شكلاً ولونًا وملامحًا... وإنما... عملاً وخلقًا وجوهرًا...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

المدينة الفاضلة

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة:

تمزج القصة بين الواقع والحلم والخيال.. المتروكة لشعور القارئ... قد تجد نفسك فيها... أو على الأقل قد تجد نماذجًا لأناس يعيشون بيننا ونقابلهم كثيرًا في حياتنا اليومية... قد تكون شخصيات خيالية... وقد تكون شخصيات حقيقية بالفعل...

ماذا تفعل عندما تستيقظ من النوم وتجد كل شيء قد تغير فيما حولك؟؟؟..

البداية:

شعرت بألم شديد أصابني في أذني وأيقظني من نومي العميق... قمت منزعجًا... يبدو أنها ناموسة قد قرصتني في أذني... من الذي فتح الشباك؟... لقد قلت لهم مرارًا أن يغلقوا الشباك وأنا نائم... وسمعت من ينادي عليَّ: يا حبيبي قوم بقى اتأخرت على الشغل... حبيبي؟؟!!... نعم، هذا صوت زوجتي... ولكنها تقول لي حبيبي؟ هناك شيء غريب... أنا أعرف أنها تحبني كما أحبها... ولكنها ليس من المعتاد أن تناديني هكذا ولماذا تقول أنني تأخرت؟.. لا يمكن أن أكون قد تأخرت عن الشغل... صحيح أنني نادرًا ما أستعمل المنبه لكي يوقظني... ليس بسبب

obeikandl.com

ساعتي البيولوجية لا سمح الله... ولكن لأنني دائمًا ما أستيقظ على صوت أبواق السيارات في الشارع الخلفي... والتي تبدأ من السابعة صباحًا... هذه الأصوات المزعجة التي تنطلق بمناسبة وبدون مناسبة... وصوت القطار الذي لا يفصلني عنه سوى هذا الشارع الخلفي... والذي لا يحلو له إطلاق النفير إلا خلف العمارة التي أسكن بها... ولكن... ولكن اليوم هناك شيء غريب... لم أسمع هذه الأصوات... كما أنني أشعر بالهدوء رغم أن اليوم ليس يوم عطلة...

نظرت إلى الساعة فوجدتها الثامنة صباحًا... فعلاً لقد تأخرت نصف ساعة عن موعد استيقاظي... نظرت من الشباك لازلت لا أسمع الأصوات التي قد اعتدت عليها... ومرة أخرى تناديني زوجتي لنشرب الشاي بالشرفة كما اعتدنا... فقلت لها سأدخل لأغتسل وأحلق ذقني أولاً... وبالفعل قمت بسرعة شديدة.. أخذت حمامي.. وخرجت لأرتدي ملابسي.

شربت الشاي على عجل وأسرعت خارجًا... فتحت الباب وجدت أمامي جاري المقيم بالشقة المقابلة الأستاذ خيري.. يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم... سبحان الله وجدته يبتسم لي على غير العادة.. هذا أمر غريب... كان بالأمس يتشاجر معي لأن أبنائي يسببون له ضوضاء... لا بأس.. رددت له الابتسامة

وأنا أشعر بالتعجب... أسرعت واستقليت السيارة ولكنني وجدت ابن البواب يجري خلفي فتوقفت.. ماذا يريد مني الآن؟... ليس لدي وقت... فوجئت به يقول لي: يا دكتور.. لقد وقعت منك هذه بالأمس... ومد يده ليعطيني المحفظة.. ياه، يبدو أن المحفظة قد وقعت مني بدون أن أشعر.. ما هذا؟ إنها كارثة.. المحفظة بها كل الراتب بالإضافة إلى عدد من كروت الائتمان التي أحملها كعادة الكثيرين.. نحملها معنا كما نحمل كروت اللعب... والأهم من هذا الأوراق الشخصية.. فلا أنسى عندما سرقت مني المحفظة منذ حوالي سنتين.. ومدى الشقاء والعذاب الذي تكبدته لاستخراج بدل فاقد عن كل الأوراق المسروقة... وبلهفة فتحت المحفظة لأعرف ماذا ضاع منها... ولكنني وجدت كل شيء في مكانه.. حتى النقود كما هي.. الحمد لله.. لم أتوقع هذه الأمانة النادرة!!!...

المهم انطلقت مرة أخرى لألحق بالعيادة... اليوم هو موعد عيادتي الاقتصادية.. والتي يتقاتل عليها جميع الزملاء الأطباء رغم أن كل مريض يدفع مبلغًا رمزيًا مجرد خمسة جنيهات فقط.. والأهم من هذا أن المريض ولأنه مريض اقتصادي ويدفع مقابل.. فهو يغضب جدًا لتأخر الطبيب وغالبًا لا ينتظره ويذهب لطبيب آخر..

دار هذا بخاطري وأنا أقود السيارة مسرعًا..

أحداث غريبة:

الحمد لله الشوارع غير مزدحمة اليوم... وجدت سائق التاكسي الذي يسير بجانبي يفسح لي الطريق.. وكأنه أحس أنني على عجل... وهذا شيء نادر من سائق تاكسي... ولكن لازال هذا الميكروباص اللعين يسير أمامي ببطء وفجأة يضغط الفرامل ويقف أمامي حتى كدت أصطدم به ثم يأخذ أقصى اليمين ويتوقف.. توقعت حدوث مشاجرة... نزلت من السيارة متأهبًا ولكنني فوجئت به يعتذر بابتسامة رقيقة.. ويقول لي أنه اضطر للتوقف.. لمرور قطة صغيرة أمامه!!!... قطة... صغيرة... ما هذا الهراء؟!!!.. إنه لو كان بني آدم ما توقف هكذا...

بدأت أشعر بالحيرة.. هناك شيء غريب يحدث...

المهم استمررت في سيري حتى وصلت إلى المستشفى.. وكما توقعت وصلت متأخرًا حوالي ٣٥ دقيقة عن موعد العيادة... وكما توقعت أيضًا وجدت بعض المرضى منتظرين... ولكن على غير توقعي وجدتهم مبتسمين ووقفوا حين رأوني ووجدتهم يسألونني في ود.. خير يا دكتور ما سبب التأخير؟ لقد قلقنا عليك!!!

obeikandl.com

خير.. لم أتعود على هذا الود.. اعتذرت لهم عن التأخير ودخلت مكتبي فوجدت ممرضتي في انتظاري.. قلت لها: هيا نبدأ. فقالت لي: كل شيء على ما يرام... الدكتور عزت كشف على الحالات المستعجلة التي تأخرت عليها.. قلت لنفسي بالتأكيد.. فقد كان يحب دائمًا التنافس على المرضى.. طبعًا لزيادة الرصيد!.. ولكنني فوجئت بها تقول وكتب هذه الحالات باسمك!.. وعندما تأخرت كتب لك إذن تأخير وقدمه للدكتور صلاح.. المدير... شيء آخر عجيب وغير معتاد...

وعند ذكر الدكتور صلاح المدير، تذكرت أن هذا المنصب كنت مرشحًا له من قبل.. ولكن ولظروف استثنائية.. وجدوه أجدر مني بهذا المركز... وذلك لكفاءته النادرة.. حيث أن عمه صديق شخصي للوزير... هل هناك أهم من هذا كفاءة؟... ولكنني لم أهتم بهذا لأنني لا أحب ولا أجيد أصلاً المناصب الإدارية.. وأحب عملي فقط..

المهم بدأت الكشف على الحالات كالمعتاد حتى أنهيت العيادة.. ولم أنسَ قبل مغادرة المستشفى أن أشكر زميلي الدكتور عزت على ما قدمه لي من خدمة وكان بشوشًا مرحبًا أيضًا على غير عادته مما سبب استمرار حيرتي..

عدت إلى المنزل فوجدتهم يقولون لي أن قريبي الأستاذ/ شريف بيومي قد اتصل بي ويريد مقابلتي اليوم... خير اللهم اجعله خير.. شريف هذا لم أره منذ فترة طويلة... هو قريب لي ولكن كانت هناك مشكلة كبيرة بينه وبين أخواته البنات.. حيث حجب عنهم الميراث بعد وفاة والدهم.. وقد حاولت التوسط لحل هذه المشكلة من قبل ولكنني فشلت.. واضطرت البنات إلى رفع قضية لأخذ حقوقهن الشرعية.. ولازالت القضية محل نزاع أمام المحاكم منذ ما يقرب من أربع سنوات... ولكن ما الذي ذكره بي؟... على العموم.. أهلاً وسهلاً.. لا بأس من لقائه لمعرفة ماذا يريد؟... المهم اتفقت أن أراه قبل الذهاب إلى العيادة المسائية.

في السابعة تمامًا وجدته يدق الباب.. فتحت له وأنا في حيرة عن سبب الزيارة.. وبعد أن جلسنا في غرفة الصالون... أخذنا نتبادل حديثًا عاديًا جدًا لأننا لم نتقابل منذ فترة ثم سألته عن أخواته وأنا أكرر ما قلته له مرارًا وتكرارًا عن ضرورة إعادة الحق إلى أصحابه.. وإعطاء أخواته نصيبهن من الميراث... فصمت برهة كأنه يفكر في شيء ما.. ثم وجدته يقول لي أن هذا هو سبب الزيارة وأنه يشعر بالندم وتأنيب الضمير ويريد أن ترجع المياه إلى مجاريها ويعيد توزيع الميراث على أخواته.. ويريدني أن أتوسط في ذلك لأن علاقتي لازالت طيبة بأخواته... نظرت إليه بتعجب وريبة ولكنني

بالطبع لم أمانع ووعدته بالتدخل... هناك شيء غريب يحدث... ما الذي جعل ضمائر الناس تستيقظ هكذا فجأة؟!...

ذهبت إلى العيادة المسائية وانتهيت منها مبكرًا.. وعدت إلى المنزل لأتناول العشاء مع زوجتي وبناتي.. أحب هذه اللحظة التي تجمع الأسرة على العشاء حيث نتشارك في الطعام والحديث ونشعر بالتقارب أكثر..

المهم أنني تعمدت طرح السؤال عليهم: هل لاحظتم أي شيء غريب اليوم؟... ولكنهم ردوا عليَّ بالنفي.. فكررت: هل لاحظتم أي تغيير في الناس وسلوكهم فقالوا: لا أبدًا الناس كما هم.. فقلت: ولا حتى أي تغيير في الشوارع؟ فتعجبوا وقالوا: لماذا تسأل كل هذه الأسئلة اليوم يا بابا؟.. فقلت: لا أبدًا مجرد سؤال...

المهم أننا أنهينا العشاء وتوجهت إلى غرفتي للنوم... فلحقت بي زوجتي وسألتني مالك.. يبدو أن هناك شيء ما يشغلك أو يؤرقك... هل حدث شيء اليوم؟ فقلت لها: أبدًا لا شيء... ولكن مع إلحاحها قصصت عليها ما مر بي من أحداث اليوم... فقالت لي: إن هذا شيء طبيعي فالناس دائمًا متقلبون بين لحظة وأخرى يوم معك ويوم ضدك... لم أقتنع تمامًا بكلامها ولكنني قلت في نفسي قد أكون متوهمًا أو حالمًا... لا أدري.. ولكنني قررت أن أنام

مبكرًا.. حتى إن كان حلمًا فلأستيقظ منه مع الصباح.. ورغم أنني متعود أن أقرأ أي شيء قبل النوم قررت ألا أقرأ شيئًا اليوم وذهبت في سبات عميق.. الغريب في الموضوع أنني فعلاً نمت بعمق.. وبدون نوبات الأرق التي تعودت عليها من قبل في منامي..

استيقظت في الصباح وأنا أشعر بالراحة.. ربما لأنني نمت بعمق فعلاً.. لا أدري.. ولكنني فوجئت بابنتي تقول لي أن هناك رجل يسأل عني بالخارج فقمت لأرى من الذي يريدني في هذه الساعة المبكرة... وجدت رجلاً عرفني على نفسه أنه محضر من المحكمة وقد أتى لي بخطاب استدعاء للحضور إلى المحكمة باكرًا... قلت في نفسي.. أهلاً.. هذه هي الحياة كما أعرفها مليئة بالمشاكل.. يبدو أنني قد استيقظت من الحلم.. يا ترى ما هي المشكلة؟ وما هي القضية؟... إنني أكره الدخول إلى المحاكم سواء كنت متهمًا أو مجنيًا عليه... لا مفر فلأذهب وأرى ما هي المشكلة؟

في صباح اليوم التالي ذهبت إلى المحكمة وأنا أقدم رجلاً وأؤخر الأخرى.. وكنت قد اتصلت بصديقي الأستاذ حسين المحامي لكي يحضر معي.. وبالفعل وجدته بانتظاري على باب المحكمة.. وصعدنا سويًا لنعرف ما هي المشكلة؟... وجدت المعلم شوقي السماك أمامي فتذكرت هذه القضية... والموضوع أن المعلم شوقي قد استولى على

قطعة أرض بجوار المحل الذي يمتلكه... هذه الأرض كانت ملكي وورثتها عن والدي ولكنه وبوضع اليد أخذها عنوة واستعملها مخزنًا لبضاعته وأسماكه... وهيهات حاولت استرجاعها من بين براثنه ولكنني فشلت وعندما لجأت إلى النيابة واجهني الواقع الأليم ببقاء الوضع على ما هو عليه... وتحولت القضية إلى المحكمة... وامتدت الجلسات والتأجيلات حتى يئست ونسيت الموضوع أو تناسيته... في خضم المشاغل ومشاكل الحياة الأخرى... والآن يا ترى ماذا جد في الموضوع؟ شيء غريب أن أجد المعلم شوقي يبتسم لي... والأغرب أن أكتشف أنه قرر تسوية النزاع في المحكمة وإعادة الأرض التي استولى عليها... وبدون مقابل... كانت مفاجأة غير متوقعة لأكثر المتفائلين... بالتأكيد هناك شيء ما...

... ما هذا الوهم؟... ما هذا الجنون؟... ما هذا الحلم الساذج؟...

عندئذ تأكدت وتيقنت أن هناك شيء غير طبيعي قد حدث لي... هل أصبت بمرض نفسي؟.. هل هذه وساوس وهلاوس سمعية وبصرية؟.. أم هي مبادئ إصابتي بالزهايمر؟... اعتذرت عن العودة إلى المستشفى وعدت إلى المنزل وأنا شارد الذهن كثير الحيرة فيما أفعل... هل أترك نفسي هكذا لكي يجن جنوني؟!...

رأي الأصدقاء:

قررت أن أتصل بأصدقائي لألقاهم وأستشيرهم فيما أنا فيه من حيرة... ليس لي أصدقاء كثيرين هم فقط ثلاثة مقربون... د/ طارق... د/ أحمد... د/ سعيد... ليس غريبًا أن كلهم أطباء.. ولكنني حاولت مصادقة بعض الأصحاب من المهن الأخرى ولكنهم للأسف لا يحتملون الجلوس والحديث معنا لأن أحاديثنا مغلفة دائمًا بالمشاكل الصحية والمصطلحات الطبية والتي تجعل من يجلس معنا يشعر بالكآبة والملل.

ولكي أكمل تعريفي بالأصدقاء.. د/ طارق.. هو زميلي ودفعتي ورغم أننا لم نكن أصدقاءً أيام الدراسة ولكننا تقاربنا في أثناء فترة الامتياز ووجدنا أن هناك توافق بيننا.. ومن أيامها ونحن على اتصال دائم... د/ أحمد.. يسبقني بدفعة وقد تعرفت عليه أيام أن كنا في بداية فترة التعيين في النيابة.. وقد ساعدني كثيرًا في التدريب خلال فترة عملي الأولى وكان له دور بارز أيضًا في توجيهي في دراسة الماجستير... د/ سعيد.. أصغر مني بثلاث دفعات وكنت قد تعرفت عليه بعد أن أصبحت أخصائيًا.. وأعرف أنه يحبني ويقدرني لأنني كنت أساعده في بداية فترة نيابته بالمستشفى.. وساعدته أيضًا في تحضير رسالة الماجستير.

كنا نتقابل عادة في أيام الخميس ولكن بصفة غير منتظمة نظرًا لانشغالنا أحيانا بالنوباتجيات أو الارتباطات العائلية ولكنني اتصلت بهم الآن للقاء والتشاور فيما أنا فيه..

وبالفعل التقينا بالمساء في أحد النوادي.. حيث أنني لا أستسيغ الجلوس في المقاهي والكافيهات.. وجدتهم كما هم بوجوههم البشوشة والمرحبة ولم أشعر فيهم بأي تغيير... المهم أننا جلسنا نتحاور كالعادة ونقص على بعض ما مر بنا من مواقف وملاحظات.. ووجدتني أطلب منهم المشورة فيما مر بي من أحداث.. جعلتني في حيرة وشك مما أنا فيه...

د/ سعيد قال لي أن هذا طبيعي ويحدث أحيانًا؛ لأن الدنيا والمواقف متقلبة سلبًا وإيجابًا.. فأنت أحيانًا يمر عليك أسبوع كله مشاكل.. وأسبوع آخر كله مناسبات سعيدة...

د/ طارق كان له رأي آخر وقال لي: ما المانع في استشارة أحد الأطباء النفسيين في الحالة طالما تشعر بهذا القلق الشديد؟ واقترح عليَّ أن أقابل زميلتنا ودفعتنا الدكتورة/ سالي عرفة.. التي تخصصت في علاج الأمراض النفسية...

أما د/ أحمد فصمت قليلاً ثم قال لي أن له رأي مختلف.. ولكنه لن يبوح به إلا بعد مقابلة الطبيب النفسي...

وبالفعل اتصلت بالزميلة العزيزة وأخذت موعدًا معها للقاء في عيادتها باكرًا... وطبعًا لم أشرح لها سبب المقابلة بالتليفون.. وتذكرت الدكتورة سالي.. كم كانت شخصية متفوقة... وفي نفس الوقت رقيقة وحالمة.. مما سبب لنا حيرة شديدة عندما قررت أن تتخصص في علاج الأمراض النفسية... وكيف سخرنا منها آنذاك؟... ولكنها كانت ترد علينا بكل ثقة وثبات أنها مقتنعة باختيارها وألمحت لنا أننا جميعًا قد نحتاج إلى مشورتها في يوم ما... وقد صدق توقعها وأنا الآن على موعد معها... كم كنا قصيري النظر... ووجدتني أنتظر مجيء باكر بفارغ الصبر..

وفي الموعد المتفق عليه وجدتني أقف أمام العيادة.. ولكنني لم أدخل إلى غرفة الاستقبال حرجًا؛ لأنه لازال هذا الفكر السلبي من شبهة الأمراض النفسية.. وكأنها وصمة في الجبين؛ لذلك فقد اتصلت بالدكتورة سالي من التليفون.. فلما شعرت بحرجي خرجت واستقبلتني واصطحبتني إلى غرفة الكشف...

وبنفس الهدوء المعروف عنها قابلتني.. وبدأت أقص عليها ما مر بي من أحداث.. وبالتفاصيل المملة.. حتى أنني حين انتهيت ابتسمت وقالت: وهل هذا يزعج أن تشعر أن كل شيء من حولك قد أصبح مثاليًا إلى هذه الدرجة؟ وكل الناس من حولك قد استيقظ

ضميرهم... إنك كمن يعيش في المدينة الفاضلة.. هل تكره هذا؟.. فقلت لها: ولكن هذا غير طبيعي، أنا أشعر أن هناك شيء غريب قد حدث لي ومن حولي وهذا ما يؤرقني... قالت لي: عندك حق... وبدأت تسألني عن حياتي الشخصية وعلاقاتي العائلية وصداقاتي ومعارفي.. وهل هناك أية مشاكل نفسية أو صحية حدثت لي أو لأحد أقاربي؟... وهل لي أية عداوات شخصية مع أي أحد؟... فقلت لها أن علاقاتي طيبة وودية مع الجميع وأنا أحمل الحب والود لكل من حولي وليس لي أي أعداء من أي نوع.. كما أن علاقتي الأسرية جيدة والحمد لله.. ناجح في عملي، ومستور ماديًا، وملتزم دينيًا.. قالت لي: إذن ليست عندك مشاكل من أي نوع.. فقلت لها: ومن منا يعيش بدون مشاكل.. ولكنها مشاكل بسيطة الحمد لله.. وأنا أتقبلها جميعًا بصدر رحب وأحمد الله على كل شيء..

قالت لي: الحقيقة أنا لا أجد أية أعراض لمرض نفسي.. ولكنها مجرد تغيرات في العلاقات الاجتماعية ولا تتطلب إعطاء أي نوع من العلاج.. شكرتها وانصرفت وقد قررت أن أحاول أن أنسى وأتعايش مع حياتي بصورة طبيعية...

استيقظت اليوم التالي على نفس الحال.. كل الناس يبتسمون لي ويتعاملون معي بود غريب.. حتى التجار الذين أتعامل معهم لا يريدون أن يأخذوا مني النقود إلا بتحايل شديد.. والفقراء الذين

أحاول أن أساعدهم كانوا يتعففون ويشكرون الله ويقولون لي عندنا ما يكفينا...

... وعندما ذهبت إلى المستشفى... كان في انتظاري مفاجأة أخرى... فقد أخبروني أن الدكتور صلاح المدير يريد مقابلتي لأمر هام... وعندما ذهبت إليه للقائه فوجئت به يبادرني بالاعتذار لمعرفته وقناعته أنني كنت الأجدر بالترقي لهذا المركز... بل ويعرض عليَّ التنازل عنه لإعادة الأمر إلى نصابه؟؟؟

والأغرب من هذا أنه وأنا في طريق عودتي إلى المنزل وجدت البواب ينتظرني وهو يقول لي جاءتك هذه الرسالة اليوم... فتحت الرسالة فوجدت محتواها كالتالي:

السيد الأستاذ/ الدكتور الموقر...

أرسل إليك هذا الخطاب تعبيرًا عن بالغ أسفي واعتذاري عما قد أكون سببته لك من إزعاج.. حيث أنني قد سرقت محفظتك منذ سنتين... وأنا الآن أشعر بالخجل من نفسي.. وعندي استعداد لإعادة كل ما سرقته إليك.. كما أنني مستعد أيضًا لتحمل أي إجراء قانوني قد تتخذه ضدي... ولتأكيد مصداقيتي أرسل إليك صورة من بطاقتي الشخصية مرفقة بهذا الخطاب... مع جزيل تحياتي.....

الراسل: المخلص/ نديم عبد التواب...

أين الحقيقة وماذا حدث؟!

عدت إلى المنزل وأنا أضرب كفًا بكفٍ.. لم أعد أستطيع الاحتمال... ماذا أفعل حتى لا أجن؟... لا يمكن أن يتحول البشر فجأة لملائكة بهذه الصورة... هذا شيء غريب جدًا...

ثم تذكرت شيئًا... جملة قد قالها لي صديقي أحمد في آخر مقابلة.. ألم يقل لي أن عنده حلاً آخر.. لم لا.. اتصلت به وطلبت منه الحضور عندي الليلة لأمر مهم.. وبالفعل حضر لزيارتي في المساء وهو لا يعلم سبب الزيارة.. لم أضع وقتًا طويلاً في الحديث معه ولكنني أفضيت إليه أنني قد ذهبت إلى زميلتنا طبيبة الأمراض النفسية ولم أجد حلاً.. وتذكرت أنك قلت لي أن عندك حلاً آخر.. قال لي: وهل ستوافق على هذا الحل؟.. قلت له: ما هو؟.. قال لي أن له صديقًا عالمًا وله رؤية حكيمة في مواقف مشابهة... قلت له: يا أحمد، حذاري أن تقصد أن أذهب إلى أحد الدجالين أو السحرة... ضحك وقال: لا.. لا ليس الأمر كذلك نهائيًا.. ولكنه صديق متعلم وخريج كلية العلوم وكان يعمل أستاذًا بإحدى الجامعات بالدول العربية.. ولكن عندما توفيت زوجته عاد هو وابنته إلى مصر.. والتحق بالعمل بإحدى المدارس.. وهو يمضي وقته في قراءة القرآن والأحاديث وكتب العلوم والتفسير.. وأنا أحيانًا أستشيره في بعض

المواقف وأجد رأيه صائبًا في معظم المواقف.. لماذا لا تذهب إليه؟.. وتجرب؟

ترددت قليلاً قبل أن أجيب وأين أجده؟.. قال لي: هو يسكن في قرية الصف القريبة من حلوان.. واسمه الأستاذ محسن كرم الله.. وهذا عنوانه.. عمومًا سأتصل به وأحدد لك موعدًا معه... قلت في نفسي: فلنحاول، لن نخسر شيئًا.. وأخذت منه العنوان ودسسته في جيبي...

هل هناك تفسير؟

قبل الموعد المحدد بوقت مناسب وجدتني جاهزًا وقد قررت أن أذهب بدون سيارة.. فارتديت ملابس بسيطة وحذاء خفيفًا وانطلقت..في البداية استقليت المترو حتى وصلت إلى حلوان..ومنها استقليت الميكروباص إلى الصف ثم أكملت سيرًا على أقدامي بين الحقول والمساكن البسيطة والناس البسطاء.. أنا أحب هذا وكنت أشعر بسعادة كبيرة وأنا أستنشق عبير الفطرة وقد بدأ الغروب يقترب وأوشكت الشمس على الرحيل تاركة ضوءها الناعم الرقيق والجو المعتدل في هذا الوقت من العام... سمعت آذان المغرب وأنا في الطريق.. فتوقفت للصلاة في إحدى الزوايا الصغيرة بالقرية... وبعد الصلاة أكملت الطريق إلى العنوان المطلوب وبالفعل وقبل الموعد المحدد بدقائق كنت أقف أمام الباب...

طرقت الباب بلطف... وبعد ثواني فتح الباب ووجدت أمامي فتاة صغيرة سألتها: أهذا هو منزل الأستاذ محسن كرم الله؟... قالت: نعم هو.. تفضل إن أبي في انتظارك.. دخلت فوجدت منزلاً بسيطًا ولكنه نظيف ومرتب واقتادتني الفتاة إلى حجرة صغيرة في مقابل المدخل دخلت فوجدتها حجرة تشبه غرف الصالون القديمة ووجدت الأستاذ محسن في انتظاري... لا أذكر إن كان أبيضًا أم أسمرًا.. لا أذكر هل كان ملتحيًا؟.. حليقًا.. أم بشارب.. لا أذكر هل كان يرتدي جلبابًا أم بنطلونًا؟... كل ما أذكره أنني قد شعرت بشيء من الراحة النفسية والطمأنينة عندما رأيته... فأنت أحيانًا قد ترى الإنسان من الداخل قبل أن ترى.. لونه.. أو مظهره.. أو ملبسه...

جلسنا نتبادل الحديث.. سألني عن طبيعة عملي فقلت له أنني أعمل طبيبًا بإحدى المستشفيات الحكومية وعندي عيادة خاصة أعمل بها مساءً.. وأنهي عملي تقريبًا حوالي الساعة العاشرة أو الحادية عشرة مساء.. قال لي: هذه طبيعة عمل الأطباء، أعلم أنها مهنة مرهقة ذهنيًا ونفسيًا ولكن مؤكد أنها رسالة إنسانية... سألته لقد سمعت من الدكتور أحمد أنك كنت تعمل أستاذًا بكلية العلوم بإحدى الدول العربية.. قال لي: هذا صحيح الدكتور أحمد صديق لي من زمان.. وكنا معًا بمدرسة واحدة.. ولكنه بعد الثانوية العامة التحق بكلية الطب.. والتحقت أنا بكلية العلوم.. وبعد التخرج عملت

لسنوات بجامعة القاهرة إلى أن جاءني عرض للعمل بالخارج ولكنني لم أستمر كثيرًا واضطررت أن أعود إلى مصر لظروف خاصة..

سكت.. ولم أرغب في إثارة أحزانه.. فقد قال لي أحمد أن أسباب عودته لم تكن ظروفًا سعيدة.. المهم أنه استطرد قائلاً أنه بعد العودة عمل بجامعة القاهرة لفترة أخرى إلى أن قرر أن يغير من أهداف حياته فانتقل إلى العمل بإحدى المدارس الابتدائية ببلدته ومسقط رأسه بالصف...

ظهر عليَّ بعض التعجب وقلت: أليس هذا شيء غريب بعد أن كنت تعلم طلاب الجامعة تنتقل لتعلم أطفالاً في مدرسة ابتدائية؟... فابتسم وقال هذا هو الفهم الخاطئ.. إننا نظن أن فترة التعليم الابتدائي فترة غير مهمة ونختار الناس الأقل كفاءة لتعليم أطفالنا فيها.. رغم أنني أعتبر أنها أهم مرحلة للتعليم وهي المرحلة التي يجب فيها وضع بذور العلم والقيم والمبادئ؛ لأنها أكثر مرحلة ينطبع فيها عقل الطالب.. ثم وجدته يسألني: أتذكر اسم مدرس الحساب الذي كان يعلمك في المدرسة الابتدائية؟.. قلت له: نعم، كان اسمه الأستاذ عبد الرءوف... قال لي: ومن كان يدرس لك الرياضة في المرحلة الثانوية؟.. فأخذت أفكر إنني أذكره ولكنني لا أذكر اسمه رغم أنني أتميز بقوة الذاكرة... قال لي: هذا هو ما

أقصد إن ما تعرفه وتتعلمه في هذه المرحلة ينطبع بداخلك وبعقلك أكثر من أي مرحلة أخرى.. فكرت وقلت له: عندك حق..

قال لي أنه يحب أن يشرب شايًا بالحليب، فلم أمانع ووجدته يسألني... قال لي الدكتور أحمد أنك تريد أن تستشيرني في أمر ما.. قلت له: نعم، هذا حقيقي.. ثم بدأت أقصُّ عليه ما مر بي من أحداث خلال الأسبوع الأخير وكيف شعرت فجأة بتغير معاملات الناس معي بدون مبرر.. مما أشعرني بالقلق رغم أنه تغير إيجابي للأفضل.. سألني ومتى حدث هذا بالضبط؟.. قلت له: يوم الثلاثاء الماضي.. قال لي: وكيف كانت البداية؟ فتذكرت هذه القرصة الغريبة التي أحسستها في أذني صباح ذاك اليوم ومن بعدها بدأت التغيرات... قال لي: ألا تذكر ماذا حدث قبل هذا بالضبط؟..

قلت له: كنت نائمًا.. قال لي: لا.. أقصد قبل أن تنام.. قلت له: كان يومًا عاديًا بدأته بالمستشفى وأنهيته بالعيادة كما هو معتاد.. ثم..

نعم.. نعم.. لقد تذكرت شيئًا قد حدث في نهاية ذلك اليوم!!!

حدث في ذلك اليوم:

عند انتهائي من العمل بالعيادة واستعدادي لمغادرتها وهي اللحظة التي أنتظرها للعودة إلى المنزل والراحة بعد عناء اليوم الطويل.. وقد بلغ بي الإرهاق مداه.. فوجئت بالممرض يقول لي

وأنا خارج أن هناك شيخ كبير كان يريد الكشف ولكنني قلت له أننا أنهينا عيادة اليوم وطلبت منه أن يحضر غدًا.. فقلت له: لماذا لم تقل لي؟.. قال لي: لقد أحسست أنك مرهق فلم أرغب في زيادة العبء عليك.. فقلت له: أليس من الممكن أن يكون هذا الرجل عنده مشكلة صحية كبيرة ولا تنتظر إلى الغد؟..

المهم خرجت بسرعة لأرى إن كان الرجل لازال بالخارج.. وفعلاً وجدته لازال ينتظر أمام المصعد حيث إن العمارة ليس بها سوى مصعد واحد وبها الكثير من الأطباء فغالبًا يأخذ وقتًا طويلاً في الصعود والهبوط... المهم أن الرجل لم يكن يعرف شكلي فقلت له: أتريد أن تكشف عند الطبيب؟.. فقال لي: يبدو أن الطبيب أنهى عيادة اليوم.. قلت له: أبدًا.. تعالى وأخذته وتوجهت به داخلاً مرة أخرى؛ لأكشف عليه..

لم يكن شيئًا خطيرًا، مجرد إصابة في اليد بسبب جسم معدني سبب جرحًا متوسط الحجم.. المهم أنني طهرت الجرح وضممته بغرزتين للمساعدة في الالتئام السريع والنظيف.. لم يكن هناك شيء غريب سوى أنني عندما لمست يديه أحسست إحساسًا غريبًا وغير عادي ونفس الإحساس أحسسته عندما نظرت إلى عينيه... ولا أعلم لماذا جاءني هذا الإحساس؟... المهم أنني وجدت من الرجل تقديرًا كبيرًا رغم أنني لم أفعل شيئًا أكثر من العادي..

ووجدته يشكرني وهو يغادر.. ويدعو ويقول: اللهم جازه خيرًا.. اللهم اكشف عنه حاجز الود والرحمة...

سرح الأستاذ محسن قليلاً.. ثم وجدته يقول وكأنه يحدث نفسه بصوت عال: هذا قد يفسر الموضوع.. قلت له: كيف؟... قال لي: لماذا تستهين بهذه الدعوة التي دعاها لك هذا الرجل؟... أعتقد أن هذا هو ما حدث فعلاً.....

إن بكل نفس طاقة كامنة من الخير نابعة من الروح.. هذه الطاقة لها تأثير كبير على الإحساس الداخلي للبشر والذي ينعكس على الأحاسيس الخارجية والعلاقات الإنسانية وغالبًا هذا هو ما حدث معك...

إن دعوة هذا الرجل يبدو أنها كانت مستجابة ويبدو أن إحساس الاطمئنان الداخلي الذي نبع من نفسك أثر عليك كما أثر فيمن حولك... نظرت إليه بشك وأنا أقول: ولكنه لم يكن هناك أي تغيير في الأحاسيس والتعاملات مع أسرتي وأصدقائي المقربين...

قال لي: هذا أمر بديهي لأن إحساسك بهؤلاء مختلف، فهم من الأصل في قلبك ويستحوذون على حبك فمن الطبيعي ألا تحس بالفارق في التعامل... ولنبدأ بتحليل ما حدث لك خطوة بخطوة...

... قلت له: ماذا عن جاري؟.. قال لي: إن جارك قد ابتسم لك لأنه لمح منك وجهًا بشوشًا لم يألفه منك أي كانت ابتسامته رد فعل وليست فعل..

وما هي حكاية المحفظة؟... قال لي: ألا تتذكر كيف سقطت منك؟... قلت له: كل ما أذكره أنني عندما عدت مساءً كان ابن البواب نائمًا عند المدخل عاريًا وكان الجو باردًا فانحنيت لكي أغطيه... قال لي: إذن غالبًا المحفظة سقطت منك عندما انحنيت لتغطيته ووجدها عندما استيقظ من النوم..

وزميلي الدكتور عزت... الذي كان دائمًا يستغل عدم وجودي ويكشف على الحالات ليحولها باسمه... قال لي: هل تأكدت من ذلك؟.. قلت له: لم أتأكد ولكنني استنتجته..

أما الدكتور صلاح مدير المستشفى فيبدو أنه أحس بضآلته وخاصة عندما وجدك لا تعير الأمر اهتمامًا واستمررت في عملك بالعكس واحتفظت بحسن معاملتك له.. «فإذا الذي بينك وبينه عداوة... كأنه ولي حميم»...

إن إحساس الطمأنينة الذي تولد داخلك انعكس عليك إيجابًا وجعلك تشعر بالأشياء بصورة مختلفة.. وترى الأشياء البسيطة والجميلة التي تصدر ممن حولك وتنسى الأشياء القبيحة التي

كنت تراها دائمًا.. كما أن هذا قد انعكس حتى على من حولك فأصبحت تصرفاتهم معك ردود أفعال لما يرونه منك من بشاشة وبر وحسن معاملة... إنك قد استخرجت طاقة الخير من داخلك فحولت حياتك هذا التحول الإيجابي ولو حللت جميع المواقف لوجدت تفسيرًا مبررًا لها بنفس هذه الصورة... ثم صمت وأطال الصمت وهو ينظر إلى أسفل..

وتغيرت قسمات وجهه وهو يقول: المشكلة الحقيقية لا أدري هل هذه الطاقة النابعة من الروح كأي طاقة؟.. أي أنها يمكن أن تنفد مع الوقت.. أم أنها طاقة مختلفة متجددة!!!... هذا في علم الله...

وانتهى حديثه عند هذا... وكنت قد تأخرت فشكرته واستأذنت في الانصراف...

●●●

obeikandl.com

المدينة الفاضلة:

في خلال رحلة عودتي استرجعت كل الحديث والتفسيرات التي سردها الأستاذ محسن وكنت أشعر بالراحة لهذه التفسيرات... كان الجو بديعًا وملهمًا فوجدتني أقول: «حقًا، إن المدينة الفاضلة ليست فقط مكان نعيش فيه ولكنها انعكاس لمشاعرنا الداخلية من حب وقناعة ورضا بما كتبه الله لنا... إن إحساس الاطمئنان والحب يفجر طاقة إيجابية تنبع من داخلنا... تشع من قلوبنا فتظهر في ملامحنا وقسماتنا... وأول من يتأثر بها هو نحن أنفسنا فتجعلنا أكثر استعدادًا للإحساس بكل ما هو جميل.. ثم تنعكس في كل ما هو حولنا فنراها في قلوب الآخرين... إن هذه النفحة من الخير والحب نابعة من أرواحنا... فلنتعلم كيف نستخرجها... كيف نزرعها فيما حولنا.. ولنروي بذورها برحيق الود والحب وحسن المعاملة.. حتى تنبت ثمار المدينة الفاضلة التي نحلم بالعيش فيها جميعًا»...

ثم توقفت عند جملته الأخيرة... وسألت نفسي: أيهما أفضل أن تعيش طويلاً ثم ينساك الناس.. أم أن تترك بصمة إيجابية لك في الحياة.. تخلد ذكراك بعد رحيلك؟؟؟

وصلت إلى المنزل متأخرًا ورغم هذا وجدت ابن البواب لازال مستيقظًا فربت على كتفه وأنا أسأله: أين وجدت المحفظة؟... قال لي: أنه وجدها بجوار فراشه عندما استيقظ... فابتسمت وتركته ينام في سلام..

أول ما فعلته عندما ذهبت إلى المستشفى صباحًا أن استدعيت الممرضة وسألتها: في الأيام التي كنت أتأخر فيها ماذا كان يفعل الدكتور عزت؟... قالت أنه كان يناظر الحالات الخاصة بك... ثم يكتبها باسمك... قلت لها: ولكنك لم تقولي لي ذلك من قبل... فردت؛ لأنك لم تسألني يا دكتور... قلت في نفسي: نعم، لم أسأل.. وتغلب عليَّ سوء الظن.. للأسف الشديد...

البحث عن الشيخ:

ازداد شغفي وفضولي لرؤية هذا الشيخ الذي دعا لي هذه الدعوة المؤثرة... وخاصة أنه لم يحضر للاستشارة حسب الموعد المحدد... ناديت على مساعدي وطلبت منه دفتر بيانات المرضى... وقلت له: راجع بيانات آخر مريض حضر يوم الاثنين السابق... بعد دقائق وجدته يضع أمامي البيانات.....

الاسم: الشيخ/ خليفة عبد البار... العنوان: ١٧ عطفة/ سعيد المختار.. المتفرع من شارع/ القدوة الحسنة... عزبة خيرالله...

نعم، أنا أعرف هذا المكان... هذه العزبة بجوار البساتين على ما أذكر... باكر الجمعة... وقد قررت أن أذهب لمقابلته بعد صلاة الجمعة... إن شاء الله...

كالمعتاد انطلقت خفيفًا بعد صلاة الجمعة وتركت السيارة واستقليت تاكسيًا وهذا أسهل... أولاً لأنني لا أعرف المكان بالضبط... وثانيًا حتى لا أحتار في إيجاد مكان لانتظار السيارة في هذا المكان المزدحم... الطريق إلى حد ما غير مزدحم يوم الجمعة... في خلال نصف الساعة وجدت نفسي بالعزبة... ومن شارع.. لشارع.. لحارة.. أسأل عن العنوان حتى وصلت إلى العطفة المذكورة... وسألت صاحب محل بقالة على ناصية الشارع عن الشيخ خليفة عبد البار... قال لي: تقصد منزل الحاج خليفة عبد البار... لم أفهم ما الفارق بين الحاج خليفة؟.. ومنزل الحاج خليفة.. قلت له: نعم.. فأشار لي إلى منزل صغير في منتصف الشارع... توجهت إليه وطرقت الباب ففتحت لي سيدة في حوالي العقد الرابع من العمر... سألتها: الشيخ خليفة موجود... قالت لي: لا ليس موجودًا.. ولكنني أنا ابنته.. لماذا؟.. قلت لها: ألم يكن مريضًا؟... قالت لي: نعم، لقد كان مريضًا بمرض السكر.. وكان يعمل حدادًا.. وذات يوم أصيب بجرح في يده... وللأسف تأخر الطبيب في علاجه فأصابه تلوث... وغرغرينة..... و..... توفي..... إلى..... رحمة الله..... منذ... سبع سنوات!!!.....

الخاتمة:

... لا أعتقد أن ما عشته هذا كان حلمًا أو خيالاً... ولكن ربما كان هذا العالم الافتراضي الذي رسمه لي ضميري... هذا العالم المثالي الذي باعدت بيني وبينه أخطائي... هذه الأخطاء التي كانت دائمًا حائلاً بيني وبين الحياة... في... المدينة الفاضلة...

... ربما تكون هذه هي النهاية... وقد تكون أيضًا البداية...

... ولكن هذا يتوقف على قدرتنا في تحويل الخيال... إلى حقيقة...

●●●

obeikandl.com

عن المؤلف...

يضم هذا الكتاب مجموعة قصصية من تأليف الكاتب الدكتور- سامح أحمد فاروق، والذي يعمل طبيبًا استشاريًا للقلب، وتتميز كتاباته بالتشويق والغموض والإثارة والخيال العلمي وشيء من الرعب، والتي تم صياغتها بأسلوب أدبي رشيق ولغة عربية بسيطة مما يجذب القارئ لمتابعتها من بدايتها حتى نهايتها وتجعله يبحر بين سطورها ويغوص باحثًا عن الفارق بين الخيال.. والوهم.. والحقيقة...

وبالرغم من أن الروايات خيالية والأسماء المذكورة بها أسماءً وهمية إلا أنك قد تتفاعل معها وتجد نفسك لا تقرأها فقط... بل تعيش فيها...

●●●

obeikandl.com

الفهرس **الصفحة**

إهداء:..... ٥

مقدمة:..... ٧

الرحلة... الأخيرة:..... ٩

الحلقة الأولى:..... ١١

الحلقة الثانية :..... ١٧

الحلقة الثالثة :..... ٢١

الحلقة الرابعة :..... ٢٥

الحلقة الخامسة:..... ٢٩

الحلقة السادسة:..... ٣٥

أنين الأرواح :..... ٤١

الحلقة الأولى :..... ٤٣

الحلقة الثانية:..... ٤٧

الحلقة الثالثة:..... ٥١

obeikandl.com

الحلقة الرابعة:..... ٥٣
الحلقة الخامسة:..... ٥٧
الحلقة السادسة:..... ٦١
الحلقة السابعة:..... ٦٥
الحلقة الثامنة:..... ٦٩
الحلقة التاسعة:..... ٧٣
التوأم:..... ٧٧
الحلقة الأولى:..... ٧٩
الحلقة الثانية:..... ٨٣
الحلقة الثالثة:..... ٨٩
الحلقة الرابعة:..... ٩٣
الحلقة الخامسة:..... ٩٧
الحلقة السادسة:..... ١٠١
الحلقة السابعة:..... ١٠٥

obeikandl.com

المرآة والنافذة:..... ١٠٩

الحلقة الأولى:..... ١١١

الحلقة الثانية:..... ١١٥

الحلقة الثالثة:..... ١١٩

الحلقة الرابعة:..... ١٢٣

الحلقة الخامسة:..... ١٢٧

الحلقة السادسة:..... ١٣١

الحلقة السابعة:..... ١٣٣

الخاتمة:..... ١٣٥

المدينة الفاضلة:..... ١٣٧

مقدمة:..... ١٣٩

البداية:..... ١٣٩

أحداث غريبة:..... ١٤٢

رأي الأصدقاء:..... ١٤٨

obeikandl.com

أين الحقيقة وماذا حدث؟!..... ١٥٣

هل هناك تفسير؟!..... ١٥٤

حدث في ذلك اليوم:..... ١٥٧

المدينة الفاضلة:..... ١٦٢

البحث عن الشيخ:..... ١٦٣

الخاتمة:..... ١٦٥

عن الناشر:..... ١٦٦

obeikandl.com

obeikandl.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع إلى الناشر

obeikandl.com